

شعر غزوات

النبي
ﷺ
صلى الله

((دراسة تحليلية))

إعداد :

أ.د. محمد بن هادي المباركي

الأستاذ بقسم الأدب والبلاغة

بكلية اللغة العربية بالجامعة الإسلامية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين؛ أمّا بعد: فإنّ الشُّعر في ظلال الإسلام قد أدّى دوراً لا يُنكر في مسيرة الدَّعوة الإسلاميّة حين واكب الغزوات والفتوحات، وناجح الشُّعراء عن حياض الدَّعوة بكلِّ ما أُوتوا من فصاحة وبيان، وبما استقرّ في نفوسهم من أضواء اليقين، وإشراقات الإيمان.

وكانت مواقف المصطفى ﷺ من شعراء الإسلام قد دفعت بهم إلى شحذ ملكاتهم وصقل مواهبهم، والوقوف في وجه أعداء الإسلام بالكلمة المؤمنة المشحونة بكل طاقات الانفعال الإيمانيّة التي تزلزل الجبال وتهزُّ الرّواسي.

ولقد كانت غزوات النّبِيِّ ﷺ ميداناً خصباً سار في ركابه كثير من الشُّعراء، وأبانوا عن مناصرتهم لدين الله تعالى، والتّصدّي للمشركين الذين ما فتئوا يتعرّضون للمسلمين. حيث كان للشُّعر - آنذاك - دوره في مختلف المواقع والغزوات التي خاضها المسلمون من أجل الدِّفاع عن عقيدتهم، والحرص على نشر دعوتهم في شتّى الأقطار، وهو ما أوجد شعراً وافراً يواكب تلك الغزوات، ويعبّر عنها، ويستلهم المفهومات الدِّينيّة في مضامينه التي يتناولها.

وقد آثرت أن تتناول هذه الدِّراسة (شعر غزوات النّبِيِّ ﷺ) للوقوف على هذا الشُّعر، ومعرفة أبعاده وتصوّراته، وما يحمله من قيم فنيّة وسمات خاصّة.

أمّا المنهج الذي اتّبعتّه في هذه الدّراسة فيقوم على الجمع بين المنهجين الاستقرائي والتحليلي الفنّي في الوقوف عند شعر الغزوات، وبيان الجوانب التي تناولها، وقد اقتصرّت الدراسة على الغزوات التي قيل فيها شعر، أمّا التي لم يرد فيها شعر فقد استثنيتها، وأوردت ما جاء نادراً من شعر في بعض الغزوات في ثنايا البحث، كما تناولت الدراسة الجوانب الفنيّة في شعر الغزوات وذلك من خلال الوقوف على بعض القيم الفنّيّة والسّمات الأسلوبية.

وقد تكوّنت خطّة البحث من فصلين، يسبقهما مقدّمة، وتتلوها الخاتمة، وتفصيل ذلك كالآتي:

الفصل الأوّل بعنوان: (الشعر في مواكبة الغزوات). واشتمل على

المباحث التّالية:

- (١) - غزوة بدر.
- (٢) - غزوة أحد.
- (٣) - غزوة الخندق.
- (٤) - غزوة مؤتة.
- (٥) - فتح مكّة.

أمّا الفصل الثّاني فهو بعنوان: (القيم الفنّيّة في شعر الغزوات).

واشتمل على المباحث التالية:

(١) أثر القرآن الكريم في أسلوب الشعر.

(٢) اللغة الشعرية.

(٣) الصورة الفنية.

وأخيراً جاءت الخاتمة، وتضمنت خلاصة للبحث.

أما الفهرسان، فكان أحدهما للمصادر والمراجع، والآخر للموضوعات.

والله تعالى أسأل أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به،

إنه خير مسؤول. وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلّم

تسليماً كثيراً .

الفصل الأول: الشعر في مواكبة الغزوات

كان عصر صدر الإسلام حافلاً بالوقائع المتوالية ضدّ المشركين، إذ كانت المعارك تدور معركة في إثر معركة، وقد أوجد ذلك صوراً مفعمة بالبسالة والتضحية بين المجاهدين الذين كانوا يلاقون عتاة المشركين ويتصدّون لهم، ويوقعون بهم الهزائم، وذلك ما صوره الشّعْر في تلك الفترة، فقد واكب الأحداث، وأبرزها في صورة واضحة للعيان، تعبّر عن عظم المهمة التي قام بها أولئك المجاهدون، وما قدموه خلالها من التضحية بالنفس والنفيس.

هو ما يدلّل على الدور العظيم الذي قام به الرسول الكريم ﷺ فقد استطاع أن يطوّر الحياة الاجتماعية والثقافية والدينية والحربية خلال - عقدين ونيّف من الزّمن، وأن يجهّز الجيوش والفرسان لنشر الدّعوة الإسلامية في مختلف الأمصار وقد صوّر الشّعراء غزوات الرسول ﷺ ومعاركه، وعلى رأسهم حسّان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة - رضوان الله عليهم أجمعين - الذين جاء شعرهم ناطقاً حياً ومعبراً صادقاً عن المعارك والغزوات، سواءً أكانت داخل الجزيرة العربية أم خارجها، فجاء الشعر مفعماً بتصوير تلك الملاحم البطولية، التي سطرها المسلمون، وقدّموا خلالها أروع التّضحيات من أجل نصره الدّعوة الإسلامية.

ومن يتأمّل في أثر الشّعْر في تلك الحقبة الزمنية، وقدرته على حفز الهمم والعزائم يدرك ما كان ينبغي أن يصنعه الشّعْر من تأثير فاعل في

مواجهة الأعداء الذين ما فتئوا يسيئون للدعوة الإسلامية ويهجون الرسول الكريم والمسلمين، وهو ما ظهر جلياً في أشعارهم التي ردت عادية الأعداء، وتصدّت لسهامهم، فكانت تقوم بمهمّة الدفاع عن العقيدة الإسلامية، وذلك ما أبان عنه بوضوح الحديث النبوي الشريف الذي رواه عائشة - رضي الله تعالى عنها - أن رسول الله ﷺ قال: «اهجوا قريشاً فإنه أشدّ عليهم من رشق النبل، فأرسل إلى ابن رواحة فقال: اهجم فهجاهم، فلم يُرض، فأرسل إلى كعب بن مالك، ثم إلى حسّان بن ثابت، فلما دخل حسّان قال: قد آن لكم أن تُرسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه، ثم أدلع لسانه، فجعل يحركه ثم قال: والذي بعثك بالحق لأفريئهم فري الأديم، فقال رسول الله ﷺ: لا تعجل فإنّ أبا بكر أعلم قريش بأنسابها، وإن لي فيهم نسباً حتّى يلخص لك نسبي، فأتاه حسّان ثم رجع فقال: يا رسول الله قد لخص لي نسبك، والذي بعثك بالحق لأسلنك منهم كما تسأل الشعرة من العجين». قالت عائشة: فسمعت رسول الله ﷺ يقول: «لقد هجاهم حسّان فشفى واشتفى» (١).

وقد عدّ النبي ﷺ الشعر المدافع عن الإسلام نوعاً من أنواع الجهاد، وذلك في قوله ﷺ: «المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده لكان ما ترمونهم به نضح النبل» (٢).

فكان شعراء المسلمين يشاركون بقصائدهم في كل ما يعرض من أحداث،

(١) صحيح مسلم ٤/١٩٣٥.

(٢) مسند الإمام أحمد ٣/٤٦٥.

ويصفون المعارك الإسلامية.

وسوف يظهر بوضوح أثر شعر الغزوات في وصف المعارك التي دارت بين المسلمين والمشركين، وإبراز القيم الإسلامية السامية التي أفصح عنها المسلمون، وهم يسيرون في الغزوات، ويخوضون المعارك، وتحقق لهم الفتوح التي طالما انتظروها، لينشروا دعوتهم الإسلامية في كل الآفاق، ويعلنوا عن دينهم الحق الذي ارتضاه المولى - عز وجل - ديناً لكل البشرية. وفي مقدمة تلك الغزوات التي خاضها المسلمون في عهد النبي ﷺ.

(١) غزوة بدر:

لقد سجّل الشعر غزوات النبي ﷺ والوقائع التي دارت بين المسلمين والمشركين، وقد كانت البداية الأولى غزوة بدر التي التقى فيها المسلمون بجحافل قريش، وأذاقوهم مرارة الهزيمة، وقتلوا كبار رجالهم، وتركوهم مجندين في أرض المعركة، حيث قُتل أبو جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وغيرهم من كبار المشركين الذين تحالفوا على حرب المسلمين، وهو الجانب الذي صوّره حسّان بن ثابت ؓ في قصيدته الرائية التي يقول فيها:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أُنَى مَكَّةَ الَّذِي
 قَتَلْنَا مِنَ الْكُفَّارِ فِي سَاعَةِ الْعُسْرِ
 قَتَلْنَا سِرَاةَ الْقَوْمِ عِنْدَ رِحَالِهِمْ
 فَلَمْ يَرْجِعُوا إِلَّا بِقَاصِمَةِ الظُّمْرِ
 قَتَلْنَا أَبَا جَهْلٍ وَعُتْبَةَ بَعْدَهُ
 وَشَيْبَةَ أَيْضاً عِنْدَ نَائِرَةِ الصَّبْرِ^(١)
 وَكَمْ قَدْ قَتَلْنَا مِنْ كَرِيمٍ مُرْزَأٍ
 لَهُ حَسَبٌ فِي قَوْمِهِ نَابِهِ الذُّكْرِ
 تَرَكَنَاهُمْ لِلخَامِعَاتِ^(٢) تَنُوبُهُمْ
 وَيَصْلُونَ نَاراً ثُمَّ نَائِبَةَ الْقَمْرِ
 بِكُفْرِهِمْ بِاللَّهِ وَالِدِّينُ قَائِمٌ
 وَمَا طَلَبُوا فِينَا بِطَائِلَةِ الْوَيْسْرِ
 لَعَمْرِي لَقَدْ قَتَلْتُ كَتَائِبُ غَالِبٍ
 وَمَا ظَفِرْتُ يَوْمَ الْتَقَيْنَا عَلَى بَدْرِ
 لَقَدْ شَقِيتُ كَمَبٌ جَمِيعاً وَعَامِرٌ
 بِأَسْيَانِنَا يَوْمَ الْتَقَيْنَا عَلَى بَدْرِ
 قَتَلْنَاهُمْ قَتْلَ الْكِلَابِ فَلَمْ نَدَعِ
 لَهُمْ فِي جَمِيعِ النَّاسِ يَا صَاحٍ مِنْ فُخْرِ^(٣)

ولقد كان رسوخ المعتقد في نفوس الشعراء يدعوهم إلى التوكل على الله،
 والثقة به، ورجاء النصر الذي لن يفارقهم ما داموا متوكلين على خالقهم -

(١) عُتْبَةُ وَشَيْبَةُ: ابنا ربيعة بن عبد شمس من كبار قريش وساداتها، وقد قُتلا في بدر.

(٢) الخَامِعَاتُ: الخَامِعَةُ الضَّبْعُ، سُمِّيَتْ كَذَلِكَ لِأَنَّهَا تَحْمَعُ إِذَا مَشَتْ. (انظر: اللسان ٧٩/٨).

(٣) ديوان حسان بن ثابت ص ٢٦٦. تحقيق: د. سيد حنفي حسنين.

في سبيل الله صفاً واحداً، ونبذ الهيبة من الأعداء مهما بلغوا من الكثرة في العدد والعتاد، وهذه العزيمة الصادقة أبرزتها كثير من القصائد الشعريّة التي تناولت الغزوات، ووصفت ما دار فيها من قوّة المواجهة بين الجيشين.

وفي وصف غزوة بدر يشير حسان ؓ إلى عظم قدرة الله تعالى، وكيف أنه نصر جنده في تلك الموقعة، وخذل المشركين المعاندين، الذين تكبروا وتجبروا على دعوة الحق، فأمهّلهم الله وأخذهم أخذ عزيز مقتدر، وفي ذلك يقول:

وخبِرَ بِالَّذِي لَا عَيْبَ فِيهِ بِصِدْقٍ فَيَرِ إِخْبَارِ الْكَذُوبِ
 بِمَا صَنَعَ الْمَلِيكَ غَدَاةَ بَدْرِ لَنَا فِي الْمُشْرِكِينَ مِنَ النَّصِيبِ
 غَدَاةَ كَانَ جَمْعَهُمْ حِرَاءُ بَدَتْ أَرْكَانُهُ جُنْحَ الْغُرُوبِ
 فَلَاقِيْنَاهُمْ مِنْهَا بِجَمْعٍ كَأْسِدِ الْغَابِ مِنْ مُرْدٍ وَشَيْبِ
 أَمَامَ مُحَمَّدٍ قَدْ آزَرُوهُ عَلَى الْأَعْدَاءِ فِي وَهْجِ الْحُرُوبِ
 بِأَيْدِيهِمْ صَوَارِمُ مُرْهَفَاتٍ وَكُلُّ مَجْرِبٍ خَاطِيِ الْكُفُوبِ
 فَكَادَرْنَا أَبَا جَهْلٍ صَرِيحاً وَعُتْبَةَ قَدْ تَرَكْنَا بِالْجُبُوبِ
 وَشَيْبَةَ قَدْ تَرَكْنَا فِي رَجَالٍ ذَوِي حَسَبٍ إِذَا انْتَسَبُوا حَسِيبِ (١)

حيث أبانت هذه الأبيات عن شدة موقعة بدر، وما حدث فيها من قتل سادة قريش وفرسانهم، فقد تركوا مجندين في أرض المعركة والطير تحوم فوقهم في مشهد يدل على بسالة المجاهدين، وتمكنهم من أعدائهم. ولا غرابة في ذلك فقد كانت التضحية والفداء تتقدمان تلك المعركة، وذلك حين تسابق الصحابة - رضوان الله عليهم - لحمل السلاح ومقاتلة أعداء الإسلام، وذلك سعياً وراء رضوان الله تعالى، وطمعاً بجنّته التي وعد بها الشهداء في سبيله.

(١) ديوان حسّان بن ثابت ص ١٣٤-١٣٥.

وحينما قال الرسول ﷺ يوم بدر: «والذي نفس محمد بيده، لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً، مقبلاً غير مدبر، إلا أدخله الله الجنة» (١)، فقال عمير بن الحمام السلمي، وكان يأكل تمرات بيده: بخ بخ، فما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء! ثم قذف التمرات من يده، وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قُتل، وهو يقول:

رَكُضاً إِلَى اللَّهِ بِغَيْرِ زَادٍ إِلَّا التَّقَى وَعَمَلِ المَعَادِ

وَالصَّبْرِ فِي اللَّهِ عَلَى الجِهَادِ وَكُلُّ زَادٍ عُرْضَةٌ النَّقَادِ

غَيْرُ التَّقَى وَالْبِرِّ وَالرَّشَادِ (٢)

(٢) غزوة أحد:

تعدُّ غزوة أحد الموقعة الثانية التي دارت بين المسلمين وكفار قريش بالمدينة المنورة، وذلك حين عزم كفار قريش على أن يثأروا لهزيمتهم ببدر، وما أصابهم فيها من الخسائر في الأرواح والأموال وسقوط هيبتهم، حيث بدأوا يعدُّون العدة لأخذ الثأر من المسلمين، فجمعوا قبائلهم وعشائرهم ومن حالفهم من مكة وجوارها وجاءوا قاصدين النيل من رسول الله ﷺ في عدد من الرجال يزيد على الثلاثة آلاف مقاتل، بينما كان عدد المسلمين الذين خرجوا وثبتوا

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١/٦٢٧، تحقيق: مصطفى السقا وآخران.

(٢) تاريخ الرسل والملوك للطبري ٢/٤٤٨، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

لهذه المعركة لا يزيد على الأربعمائة مجاهد، وقد انتهت المعركة لصالح المشركين، حيث استطاع الكفار قتل بعض قادة المسلمين، وعلى رأسهم حمزة بن عبد المطلب ﷺ ورجع الرسول ﷺ بمن معه من الرجال إلى المدينة، بينما عادت جحافل الكفار ومعهم جرحاهم وبقلوبهم فرحة الثأر لقتلهم في بدر التي حاقت بهم الهزيمة فيها.

وقد كان للشعر دوره في غزوة أحد، حيث وصف الشعراء ما دار فيها من أحداث ومواقف، ودارت مساجلات بين شعراء المسلمين وشعراء الكفار، ورثى الشعراء من استشهدوا في تلك الغزوة، وفي مقدمتهم حمزة بن عبد المطلب ﷺ (١).

وأولى هذه القصائد التي نظمها الشعراء في تلك الغزوة قصيدة حسّان بن ثابت ﷺ التي ردّ فيها على هُبيرة بن أبي وهب المخزومي - شاعر المشركين - الذي خالجه السرور والتعالي بما حقّقه قومه في أحد، وهو ما ظهر في قصيدته التي يقول مطلعها:

(١) انظر: التأثير النفسي للإسلام في الشعر ص ١٦١.

سُئِنَا كِنَانَةَ مِنْ أَطْرَافِ ذِي يَمَنِ عَرَضِ الْبِلَادِ عَلَى مَا كَانَ يُزْجِيهَا^(١)

فقد ردَّ عليه حسَّان بن ثابت ؓ بقوله:

سُئِنْتُمْ كِنَانَةَ جَهْلًا مِنْ سَفَاهَتِكُمْ إِلَى الرَّسُولِ فَجُنِدُ اللَّهِ مُخْزِيهَا

أُورِدْتُمُوهَا حِيَاضَ الْمَوْتِ ضَاحِيَةً فَالِنَّارُ مَوْعِدُهَا، وَالْقَتْلُ لَا تِيهَا

أَنْتُمْ أَحَابِيشُ جُمُوعَتُمْ بِلَا نَسَبٍ أُمَّةَ الْكُفْرِ عَرَّتْكُمْ طَوَاغِيهَا

هَلَا عَتَبَرْتُمْ بِخَيْلِ اللَّهِ إِذْ لَقِيَتْ أَهْلَ الْقَلِيبِ وَمَنْ أُرْدِيْنَهُ فِيهَا

كَمْ مِنْ أَسِيرٍ فَكَنَّاهُ بِلَا ثَمَنِ وَجَزَّ نَاصِيَةَ كُنَّا مَوَالِيهَا^(٢)

حيث يشير حسَّان ؓ إلى صنيع المشركين وجهلهم، حين ساقوا جيوشهم من بني كنانة لقتال النبي ﷺ والمسلمين وكيف أنهم رجعوا خائبين خاسرين أمام جند الله الذين أذاقوهم مرارة الهزيمة، بل يشير حسَّان إلى صنيع المسلمين بأسرى بدر الذين أطلقوهم بلا ثمن، ليعلم أولئك عظمة النصر الذي حقَّقه المسلمون وعلو مكانته.

أمَّا كعب بن مالك ؓ فقد أجاب هُبيرة بقصيدة طويلة وصفت ما دار في غزوة أحد، وما حفلت به الموقعة من شدَّة وضراوة، حيث بدأ قصيدته بوصف

(١) السيرة النَّبَوِيَّة ٣/١٣٠.

(٢) ديوان حسَّان بن ثابت ص ٢٠٥.

مكان المعركة، وأنها كانت أرضاً صعبة المسالك وعرة الدروب، لا يسلكها إلا حمر الوحش أو النعام، وقد امتلأت بالجيف من مخلفات الوحوش وعظام الفرائس، يقول:

أَلَا هَلْ أَتَى غَمَانَ عَنَا وَدُونَهُمْ مِنْ الْأَرْضِ خَرَقٌ سَيْرُهُ مُتَنَفِعٌ^(١)
 صَحَارٍ وَأَعْلَامٌ كَأَنَّ قَتَامَهَا مِنْ الْبُعْدِ نَفْعٌ هَامِدٌ مُتَقَطِّعٌ^(٢)
 تَنْظُلُ بِهِ الْبُزْلُ الْعَرَامِيسُ رُزْحًا وَيَخْلُو بِهِ فَيْتُ السُّنَيْنِ فَيُمْرَعُ^(٣)
 بِهِ جِيفُ الْحَسْرِ يُلُوحُ صَلِيبُهَا كَمَا لَاحَ كَتَّانُ التَّجَارِ الْمَوْضِعُ^(٤)
 بِهِ الْعَيْنُ وَالْأَرَامُ يَمْشِينَ خَلْفَةً وَبَيْضُ نَعَامٍ قَيْضُهُ^(٥) يَتَقَلِّعُ^(٦)

ثم يصف كعب رضي الله عنه بطولة المؤمنين الذائدين عن دين الله، مذكراً المشركين في أحد بهزيمتهم الساحقة التي واجهتهم في بدر، يقول:

- (١) الخرق: الفلاة التي تنخرق فيها الريح. ومتنفع: مضطرب.
- (٢) الأعلام: الجبال المرتفعة. والقتام: ما مال لونه إلى السواد.
- (٣) البزل: جمع بازل وهو البعير القوي. والعزميس: الناقة الشديدة. ويمرع: يخصب.
- (٤) الصليب: ودك العظام. والموضع: المبسوط والمنقوش.
- (٥) العين: البقر الوحشي. الأرام: الطباء. القيض: قشر البيض الأعلى.
- (٦) ديوان كعب بن مالك ص ٢٢٢.

- مُجَالِدُنَا عَنْ دِينِنَا كُلِّ فُخْمَةٍ (١) مُدْرَبَةٌ فِيهَا الْقَوَانِسُ تَلْمَعُ (٢)
- وَكُلُّ صَمُوتٍ فِي الصَّوَانِ كَأَنَّهَا إِذَا لُبِسَتْ نَهْيٌ مِنَ الْمَاءِ مُتْرَعٌ (٣)
- وَلَكِنْ بَدْرٍ سَأَلُوا مَنْ لَقِيْتُمْ مِنَ النَّاسِ، وَالْأَنْبَاءُ بِالْغَيْبِ تَنْفَعُ (٤)

ثم يشير كعب رضي الله عنه إلى الاستعداد النفسي لتلك الموقعة، وكيف أنّ الكفار ضربوا خيامهم وأبنيتهم بأرض المعركة، ورأى المؤمنون كثرتها فتشاوروا فيما بينهم ماذا يمنعهم من السكوت على ما بدأهم به الكفار؟ وكيف لا يتشاورون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ينبغي فعله؟ فقلوه الحق، ومن أعرض عن نصحه فقد باء بالخسران، وبعد المشاورة أبان لهم الرسول صلى الله عليه وسلم أنّ من كانت نيّته للجهاد حقيقةً والطّمع فيما عند الله تعالى فعليه أن يشمرّ لذلك؛ ليظفر بما أعدّه الله - عزّ وجلّ - لعباده المؤمنين الصادقين (٥)، وفي ذلك يقول:

- (١) قال ابن هشام: وكان كعب بن مالك قد قال: مجالدنا عن جذمنا كل فخمة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أ يصلح أن تقول مجالدنا عن ديننا؟ فقال كعب: نعم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فهو أحسن، فقال كعب: مجالدنا عن ديننا. (انظر السيرة النبوية ١٣٦/٢).
- (٢) مجالدنا: مدافعنا. والفخمة: الكتيبة العظيمة. المدربة: المتعود على القتال الماهرة فيه.
- (٣) الصموت: الدرع. الصوان: كل ما يُصان فيه الشيء، درعاً كان أو ثوباً أو غيرهما. النهي: الغدير. ومترع: أي: مملوء ماءً.
- (٤) ديوان كعب بن مالك ص ٢٢٣.
- (٥) انظر: التأثير النفسي للإسلام في الشعر ص ١٦٥.

وَلَمَّا ابْتَنَوْا بِالْعَرِضِ^(١) قَالَ سَرَاتْنَا
 عَلَامَ إِذَا لَمْ نَمْنَعِ الْعَرِضَ نَزَرُ؟
 وَفِينَا رَسُولُ اللَّهِ نَتَّبَعُ أَمْرَهُ
 إِذَا قَالَ فِينَا الْقَوْلَ لَا نَتَطَّلَعُ
 تَدَلَّى عَلَيْهِ الرُّوحُ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ
 يُنَزِّلُ مِنْ جَوْ السَّمَاءِ وَيُرْفَعُ
 نُسَاوِرُهُ فِيمَا نُرِيدُ وَقَصْرُنَا^(٢)
 إِذَا مَا اشْتَهَى أَنَا نَطِيعُ وَنَمْعُ
 وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ لَمَّا بَدَا لَنَا
 ذَرُّوا عَنْكُمْ هَوْلَ الْمَنِيَّاتِ وَاطْمَعُوا
 وَكُونُوا كَمَنْ يَسْرِي الْحَيَاةَ تَقْرُبًا
 إِلَى مَلِكٍ يُحْيَا لَدَيْهِ وَيُرْجَعُ
 وَلَكِنْ خُذُوا أَسْيَافَكُمْ وَتَوَكَّلُوا
 عَلَى اللَّهِ إِنَّ الْأَمْرَ لِلَّهِ أَجْمَعُ
 فَسَرْنَا عَلَيْهِمْ جَمْرَةً فِي رِحَالِهِمْ
 ضُحِيًّا عَلَيْنَا الْبَيْضُ لَا نَتَخَشَّعُ^(٣)

ثم يصل كعب ﷺ إلى وصف المعركة وأحداثها، بدءاً من بيان عدد المقاتلين من الطرفين، وانتهاءً بما حدث في أرض المعركة من التحام الجيشين، حيث تُسَدَّد الطُّعَنَات، وتُصَوَّب الرِّمَاح، وتهرع الخيول، وتسبح في الفضاء كأنها الجراد المنتشر، وفي ذلك يقول:

(١) العَرِض: موضع خارج المدينة. وكلُّ وادٍ فيه شجر فهو عَرِض.

(٢) قَصْرُنَا: غاييتنا ونهاية أمرنا.

(٣) ديوان كعب بن مالك ص ٢٢٤ - ٢٢٥.

فَجِئْنَا إِلَى مَوْجٍ مِنَ الْبَحْرِ وَسَطُهُ
أَحَابِيشُ مِنْهُمْ حَاسِرٌ وَمُقَنَّعٌ
ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَنَحْنُ نَصِيئَةٌ^(١)
ثَلَاثُ مِئِينَ إِنْ كَثَرْنَا وَأَرْبَعُ
نُعَاوِرُهُمْ تَجْرِي الْمَنِيَّةُ بَيْنَنَا
نُشَارِعُهُمْ^(٢) حَوْضَ الْمَنَايَا وَنُشْرَعُ
تَهَادَى قِيسِ النَّبْعِ فِينَا وَفِيهِمْ
وَمَا هُوَ إِلَّا الْيَثْرَبِيُّ^(٣) الْمُقَطَّعُ
وَمَنْجُوفَةٌ حَرْمِيَّةٌ صَاعِدِيَّةٌ^(٤)
يُذَرُّ عَلَيْهَا السُّمُّ سَاعَةً تُصْعَقُ
تَصُوبُ بِأَبْدَانِ الرَّجَالِ وَتَارَةٌ^(٥)
وَحَيْلٌ تَرَاهَا بِالْفَضَاءِ كَأَنَّهَا
جَرَادٌ صَبَأٌ فِي قَرَّةٍ يَتَرَيِّعُ^(٦)
فَلَمَّا تَلَاقَيْنَا وَدَارَتْ بِنَا الرَّحَى
وَلَيْسَ لِأَمْرِ حَمَّهَ اللَّهُ مَدْفَعُ
ضَرَبْنَاَهُمْ حَتَّى تَرَكَنَا سَرَائِهِمْ^(٧)
كَأَنَّهُمْ بِإِنْقَاعِ خُشْبٍ مُصْرَعٌ

(١) النَّصِيئَةُ: الخيَارُ من القوم.

(٢) نُعَاوِرُهُمْ: أَي نَغِير عَلَيْهِمْ. وَنُشَارِعُهُمْ: أَي نَشَارِعُهُمْ.

(٣) الْيَثْرَبِيُّ: الْأَوْتَارُ، نَسَبَةٌ إِلَى يَثْرِبَ.

(٤) الْمَنْجُوفَةُ: السَّهْمُ الْمُنْقَفَةُ. وَالْحَرْمِيَّةُ: نَسَبَةٌ إِلَى أَهْلِ الْحَرَمِ. وَالصَّاعِدِيَّةُ: نَسَبَةٌ إِلَى

صَاعِدٍ، وَهُوَ صَانِعٌ مَعْرُوفٌ.

(٥) تَصُوبُ: تَقَعُ. وَالْبِصَارُ: الْحَجَارَةُ اللَّيْنَةُ. وَتُقَعَّقُ: تُصَوِّتُ.

(٦) الصَّبَا: رِيحٌ شَرْقِيَّةٌ. وَالْقَرَّةُ: الْبُرْدُ. وَيَتَرَيِّعُ: يَجِيءُ وَيَذْهَبُ.

(٧) سَرَائِهِمْ: خِيَارِهِمْ.



فَعَلْنَا وَنَالَ الْقَوْمُ مِنَّا وَرُبَّمَا وَكُنْ مَا لَدَى اللَّهِ أَوْسَعُ

وَدَارَتْ رَحَانًا، وَاسْتَدَارَتْ رَحَاهُمْ وَقَدْ جَعَلُوا كُلَّ مِنَ الشَّرِّ يَشْبَعُ^(١)

ويختتم كعب رضي الله عنه قصيدته بتعداد صفات جيش المسلمين في أنهم يقدمون على الحرب متى كانت دفاعاً عن عرض أو عقيدة وليس لمغنم دنيوي، وأنهم تدربوا على الحرب وألفوها، فلا يهابون أعداءهم، ولا يتراجعون في المواجهة، وقد عرفوا آداب القتال فلا يجزعون إن أصيبوا، فالحرب سجال دائماً، وإن ظفروا بالعدو فلا فحش ولا تمثيل بالقتلى أو إذلال للأسرى وإنما منهج الإسلام في معاملة المتحاربين والأسرى^(٢)، حيث يقول كعب واصفاً بطولة ذلك الجيش المسلم:

(١) ديوان كعب بن مالك ص ٢٢٥ - ٢٢٧.

(٢) انظر: التأثير النفسي للإسلام في الشعر ص ١٦٨.

ونحن أناسٌ لا نرى القتل سبباً على كل من يحمي الذمار^(١) ويمنع
ولكننا نلقي الفرار، ولا نرى اله فراراً لمن يرجو العواقب ينفع
جلاداً^(٢) على ريب الحوادث لا ترى على هالك عيناً لنا الدهر تدوع
بنو الحرب لا نعيأ بشيء نقولُه ولا نحن مما جرَّت الحرب نجزعُ
بنو الحرب إن نظفروا فلنأبؤهم ولا نحن من أظفارها نتوجعُ
وكننا شهاباً يتقي الناس حره ويفرج عنه من يلبه ويسقع^(٣)

وبينما كانت المعارك تدور بين المسلمين والمشركين فقد كان هناك من يفخر من المشركين بما تحقَّق في غزوة أحد ناسياً صنيع المسلمين في بدر، ومن أولئك الشعراء عبد الله بن الزبير^(٤) الذي افتخر في إحدى قصائده التي يقول فيها:

(١) السُّبَّةُ: العار. والذُّمار: ما يجب على الرجل حمايته.

(٢) جِلَادٌ: جمع جَلِيدٍ وَجَلْدٌ وهو الصَّلْبُ.

(٣) ديوان كعب بن مالك ص ٢٢٧ - ٢٢٨.

(٤) هو عبد الله بن الزبير بن قيس بن عدي بن سعد السهمي القرشي، كان شديداً على المسلمين يهجوهم ويحرِّض المشركين عليهم، وقد أسلم بعد فتح مكَّة، واعتذر من النَّبِيِّ ﷺ عمَّا بدر منه. وكانت وفاته سنة ١٥هـ. (انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ١٦٠/٣).



يَا غُرَابَ الْبَيْنِ أَسْمَعْتَ فَقُلْ إِنَّمَا تَنْطِقُ شَيْئاً قَدْ فُعِلْ
كَمْ قَتَلْنَا مِنْ كَرِيمٍ سَيِّدٍ مَا جِدِ الْجَدِيدِ مَقْدَامٍ بَطْلٍ
لَيْتَ أَشْيَاخِي بِبَدْرٍ شَهِدُوا جَزَعَهُ الْخَزْرَجِ مِنْ وَقَعِ الْأَسَلِ^(١)

فانبرى له حسان بن ثابت رضي الله عنه يردّ عليه، ويبين له أنّ الحرب سجال بين الطرفين، وأنّ المسلمين قد نالوا من المشركين في أحد كما نال المشركون منهم، مذكراً إيّاه بما لاقوه من الهزيمة في ((بدر))، وكيف قتل ساداتهم، وهرب فرسانهم في تلك الموقعة، وباعوا بالخزي والخذلان، حيث يقول حسان رضي الله عنه:

(١) شعر عبد الله بن الزبير ص ٤١ - ٤٢، تحقيق: د. يحيى الجبوري.

ذَهَبَتْ بِأَبْنِ الزَّبْعَرَى وَفَعْنَةُ كَانَ مِنَّا الْفَضْلُ فِيهَا لَوْ عَدَلُ
 وَلَقَدْ نَلْتِمُ وَنَلْنَا مِنكُمْ وَكَذَلِكَ الْحَرْبُ أُحْيَانَا دُولُ
 نَضَعُ الْأَسْيَافَ فِي أَكْتَافِكُمْ حَيْثُ نَهْوِي عَنَّا بَعْدَ نَهْلُ
 إِذْ نُؤَلُّونَ عَلَى أَعْقَابِكُمْ هُرَبًا فِي الشَّعْبِ أَشْبَاهَ الرَّسَلِ^(١)
 إِذْ شَدَدْنَا شَدَّةً صَادِقَةً فَأَجَانَاكُمْ إِلَى سَفْحِ الْجَبَلِ
 وَعَلَوْنَا يَوْمَ (بَدْرٍ) بِالتُّقَى طَاعَةَ اللَّهِ، وَتَصَدِيقِ الرَّسَلِ
 وَتَرَكْنَا فِي قُرَيْشٍ عَوْرَةً يَوْمَ بَدْرٍ وَأَحَادِيثِ الْمَثَلِ^(٢)

أمَّا كعب بن مالك ؓ فيردُّ في قصيدته اللامية على كلِّ من تناول على المسلمين من شعراء قريش، ويوضح لهم أنه إذا كان هناك من قادة المسلمين من قُتل في (أحد)، وهو ما أفرح المشركين وشعراءهم فإنَّ عليهم أن يعودوا بذاكرتهم إلى ما أصابهم في (بدر)، وما واجهوه من صور البطولة والتضحية التي أبداها المسلمون (٣)، حيث يقول:

(١) الرَّسَلُ: الإبل المرسلة بعضها في إثر بعض.

(٢) ديوان حسَّان بن ثابت ص ٩٣ - ٩٤.

(٣) انظر: التأثير النفسي للإسلام في الشعر ص ١٧٠.

أَبْلَغُ فُرْيَانًا وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ
وَالصَّدْقُ عِنْدَ ذَوِي الْأَبَابِ مَقْبُولُ
أَنْ قَدْ قَتَلْنَا بِقِتْلَانَا سَرَاتِكُمْ
أَهْلَ النَّوَاءِ، فَنِيَمُ يَكْثُرُ الْقَيْلُ؟
وَيَوْمَ بَدْرٍ لَقِينَاكُمْ لَنَا مَدَدُ
فِيهِ مَعَ النَّصْرِ مِيكَالٌ وَجَبْرِيلُ
إِنْ تَقْتُلُونَا فَدِينُ اللَّهِ فَطَرْنَا
وَالْقَتْلُ فِي الْحَقِّ عِنْدَ اللَّهِ تَفْضِيلُ
وَإِنْ تَرَوْا أَمْرًا فِي رَأْيِكُمْ سَفَاهًا
فَرَأَيْ مَنْ خَالَفَ الْإِسْلَامَ تَضْلِيلُ
فَلَا تَمَمُّوا لِقَاحَ الْحَرْبِ وَاسْتَمِدُّوا
إِنَّ لَكُمْ عِنْدَنَا ضَرْبًا تَرَاحُ لَهُ^(١)
عُرْجُ الضَّبَاعِ لَهُ خَدْمٌ رَعَائِبِلُ^(٢)
إِنَّا بَنُو الْحَرْبِ نَمْرِيهَا وَنَشْتَجُهَا
وَعِنْدَنَا لِذَوِي الْأَضْغَانِ تَنْكِيلُ^(٣)

وكما يظهر فقد أثرت غزوة أحد في نفوس الشعراء في عهد النبي ﷺ، ودعتهم إلى التجاوب معها، والتعبير عن مواقفها وأحداثها، والتصدي لمن حاول الإساءة للنبي ﷺ وللمسلمين، وهو ما قام به شعراء المشركين بعد الموقعة، الأمر الذي دعا شعراء المسلمين إلى الرد عليهم، وكشف أكاذيبهم

(١) لِقَاحُ الْحَرْبِ: زيادتها ونموها. وأصدى اللون: لونه بين السواد والحُمْرة. وَمَشْعُولٌ: أي مَنقَدٌ مثلَهَبٌ.

(٢) تَرَاحٌ: تفرح وتهنئ. والخدْمُ: قطع اللحم. والرَعَائِبِلُ: المتقطعة.

(٣) ديوان كعب بن مالك ص ٢٥٥ - ٢٥٦.

وتخُرُصاتهم، وبيان أثر الإسلام في كلِّ ما تحقَّق للمسلمين من عِزَّة ومنعة.

(٣) غزوة الخندق:

في السَّنة الخامسة للهجرة تجمَّعت قوى الشُّرك لمحاربة النَّبي ﷺ والمسلمين بالمدينة، وتزعَّم أبو سفيان تلك الجموع من القرشيين ومن والاهم من غطفان والقبائل المجاورة، ويأتي الجميع إلى المدينة المنورة قاصدين القضاء على الإسلام بجحافلهم وعدَّتهم الحربيَّة التي لم يكن للمسلمين قِبَل بها، ولم يكتفوا بذلك بل تعاهدوا مع يهود بني قريظة في حصونهم حول المدينة من أجل القضاء على المسلمين.

ولمَّا علم رسول الله ﷺ بتأمرهم وتحزُّبهم جمع المسلمين وأعلمهم ما عزم عليه أبو سفيان ومَنْ والاه من غطفان واليهود، وتشاور معهم، وانتهت مشورتهم بحفر خندق حول المدينة حتَّى يمكنهم التَّحصُّن فيها، فإذا دهمهم العدو نالوه ولا ينالهم، وبدأ المسلمون حفر الخندق، وكان الرَّسول ﷺ يعاونهم في حفره ويشدُّ من عزيمتهم، ويرغبهم فيما عند الله تعالى من الأجر (١)، حتَّى إذا اكتمل حفر الخندق جاءت فلول المشركين التي تجمَّعت من قبائل عدَّة، وتحزَّبت لحرب المسلمين، يقودهم إلى ذلك طمعهم واستكبارهم وعتوهم، حيث نزلوا بجانب أحد (٢)، وهناك ظهر لهم المسلمون الذين كان عددهم يقدر بثلاثة آلاف، والخندق يفصل بين الفريقين، فخرج من بين صفوف المشركين

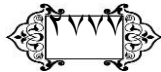
(١) انظر: التأثير النفسي للإسلام في الشعر ص ١٩٤.

(٢) السِّيرة النَّبويَّة ٢/٢١٦ - ٢١٧.



عمرو بن ود العامري - وكان مُعلِّماً - وقال: مَنْ يُبارز؟ فخرج له من المسلمين عليُّ بن أبي طالب ﷺ وقال له: يا عمرو إنَّك عاهدتَ الله ألاَّ يدعوك رجلٌ من قريش إلى إحدى خَلَّتَيْنِ إلاَّ أخذتها منه، فقال له: أَجَلٌ، فقال له عليٌّ: فَإِنِّي أدعوك إلى النَّزَالِ، فقال له: لِمَ يا ابن أخي؟ فو الله ما أُحِبُّ أن أقتلك، فقال له عليٌّ: لكنِّي والله أُحِبُّ أن أقتلك، فحمي عمرو عند ذلك، فافتحم عن فرسه، فعقره، وضرب وجهه، ثمَّ أقبل على عليٍّ، فتنازلا وتجاولا، فقتله عليٌّ ﷺ وخرجت خيلهم منهزمة، حتَّى اقتحمت من الخندق هاربةً (١).

وقد وصف عليٌّ ﷺ ذلك الحدث والموقف الشُّجاع الذي أبان عن قوَّة المسلمين في مواجهة أعداء الإسلام في أبيات شعريَّة، قال فيها:

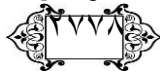


نَصَرَ الْحِجَارَةَ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِ وَنَصَرْتُ رَبَّ مُحَمَّدٍ بِصَوَابِي
فَصَدَدْتُ حِينَ تَرَكْتَهُ مُتَجَدِّلاً كَالجِدْعِ بَيْنَ دَكَادِكِ وَرَوَابِي (١)
وَعَفَّيْتُ عَنْ أَنْوَابِهِ وَأَوَّانِي كُنْتُ الْمُقَطَّرَ بَزَنِي أَنْوَابِي (٢)
لَا تَحَسَبَنَّ اللَّهَ خَاذِلَ دِينِهِ وَنَبِيَّهِ يَا مَعْشَرَ الْأَخْزَابِ (٣)

وقد شكك ابن هشام في نسبة هذه الأبيات لعلي بن أبي طالب ؓ (٤).

ولم يكن تحزب الأعداء واتحادهم لحرب المسلمين أمراً يثير الهيبة أو الخوف في قلوب المجاهدين، الذين نذروا أنفسهم للدفاع عن عقيدتهم، ونصرة نبيهم ﷺ حيث لقاء الأعداء هو لقاء الشجاعة، والنصرة، والتضحية لقوم دربوا على القتال، وعلموا أنفسهم في الحرب حتى أصبحوا ظاهرين للناس جميعاً، وكانهم أسود يحمون عرينهم، ويدافعون عن رسالتهم الخالدة (٥).. وهي المعاني التي أشار إليها كعب بن مالك ؓ في قصيدته التي قالها يوم الخندق، حيث قال:

- (١) مُتَجَدِّلاً لاصقاً بالأرض. والجِدْعُ: فرع النَّخْلَةِ. والدَّكَادِكُ والدُّكَادِكُ: أرضٌ فيها غلظ، والجمعُ دَكَادِكٌ.
- (٢) الْمُقَطَّرُ: الذي ألقى أحد قطريه، أي جنبيه، والقطر: الجانب. ويزني: سلبني.
- (٣) السيرة النبوية ٢/٢٢٥.
- (٤) المصدر السابق ٢/٢٢٥.
- (٥) انظر: التأثير النفسي للإسلام في الشعر ص ١٩٦.



مَنْ سَرَّهُ ضَرْبُ يَمْعَمِعُ بَعْضُهُ

بَعْضاً كَمَعْمَعَةِ الْأَبَاءِ الْمُحْرَقِ (١)

فَلَيَاتِ مَأْسَدَةً تُسَنُّ سِيُوفُهَا

بَيْنَ الْمَدَادِ وَبَيْنَ جِرْعِ الْخَنْدَقِ (٢)

دَرَبُوا بِضَرْبِ الْمُعْلِمِينَ (٣) وَأَسْلَمُوا

مُهْجَاتِ أَنْفُسِهِمْ لِرَبِّ الْمَشْرِقِ

فِي عَصْبَةٍ نَصَرَ الْإِلَهَ نَبِيَّهُ

بِهِمْ، وَكَانَ بَعْبَدِهِ ذَا مَرْفِقِ (٤)

ويمضي كعب رضي الله عنه في قصيدته إلى وصف السِّلاح، فيصوِّر الدُّروع تحكي حلقاتها في سردها المحكم وشكلها الموثق أحداق الجنادب، فهي مستديرة الحلق، تشمِّرُها للحرب حمائل السُّيوف الصَّارمة، حيث يقول:

(١) المعمعة: اختلاط الأصوات وشدة زجلها. الأباء: القصب، ومعمعة الأباء: صوت الحريق في القصب.

(٢) المأسدة: الموضع الذي تجتمع فيه الأسود. وتسنُّ: تُحدُّ. والمداد: موضع بالمدينة حيث حفر الخندق، وقيل هو بين سلع وخندق المدينة. والجزع: الجانب.

(٣) المُعلِّمين: الذين يُعلِّمون أنفسهم في الحرب بعلامة يُعرفون بها.

(٤) ديوان كعب بن مالك ص ٢٤٤.

في كلِّ سَابِغَةٍ تَخْطُ فُضُولَهَا كَالنَّهْيِ (١) هَبَّتْ رِيحُهُ الْمُتَرْفِقِ
بَيْضَاءَ مُحْكَمَةٍ كَأَنَّ مُتِيرَهَا حَدَقَ الْجَنَادِبِ ذَاتَ شَكٍّ مُؤْنِقِ (٢)
جَدَلَاءَ يَحْفَظُهَا نِجَادُ (٣) مُهْنِدِ صَافِي الْحَدِيدَةِ صَارِمِ ذِي رَوْنِقِ
تَلْكُمُ مَعَ التَّقْوَى تَكُونُ لِبَاسَنَا يَوْمَ الْمِيَاكِ وَكُلِّ سَاعَةٍ مَصْدَقِ (٤)

والبيت الأخير يصور أهميّة التقوى والإيمان في الحروب التي يخوضها المسلمون؛ إذ ليس من طبعهم أن يركنوا إلى العدة الماديّة دون أن يدخروا في نفوسهم زاد التقوى الذي يوصلهم إلى غايتهم الكبرى التي يبتغونها من وراء نصرتهم للإسلام.

أما الإعداد للمعركة - وهو الجانب الذي أمر به المسلمون وهم يواجهون أعداءهم - فيشير إليه كعب بن مالك من خلال إعداد الخيول الأصيلة المضمرّة، التي تصعد بفرسانها إلى حلبة القتال، وتمكّنهم من اصطيد أعدائهم، والظفر عليهم، يقول:

(١) السّابغة: الدُّروع الكاملة. النَّهْي: الغدير من الماء.
(٢) القنير: مسامير الدُّروع. والجنادب: ذكور الجراد. والشك: إحكام السرد.
(٣) الجدلاء: الدُّروع المحكّمة أو المدوّرة الحلق. ويحفظها: يرفعها. والنجاد: حمائل السيوف.
(٤) ديوان كعب بن مالك ص ٢٤٥.

- وَنُعِدُّ لِلْأَعْدَاءِ كُلِّ مَقْلَصٍ وَرَدِّ وَمَحْجُولِ الْقَوَائِمِ أَبْلَقِ (١)
- تَرْدَى بِفُرْسَانٍ كَأَنَّ كَمَا نَهُمْ عِنْدَ الْهِيَاجِ أُسُودٌ طَلٌّ مُلْتَقِ (٢)
- صُدُقٌ يَعَاظُونَ الْكَمَاةَ حُتُوفَهُمْ تَحْتَ الْعِمَايَةِ بِالْوَشِيحِ الْمُرْهِقِ (٣)
- أَمَرَ الْإِلَهِ بِرَبَطِهَا لِعَدُوِّهِ فِي الْحَرْبِ، إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ مَوْفِقِ
- لِتَكُونَ غَيْظًا لِلْعَدُوِّ وَحَيْطًا لِلدَّارِ إِنْ دَلَقَتْ خَيُْولَ النَّزْقِ (٤)
- وَيُعِينُنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ بِقُوَّةٍ مِنْهُ، وَصَدَقَ الصَّبْرُ سَاعَةَ نَلْتَقِي
- وَنُطِيعُ أَمْرَ نَبِيِّنَا وَنُجِيبُهُ وَإِذَا دَمَعَا لِكَرْيَهَةِ لَمْ نُسْبِقِ
- وَمَتَى يُنَادِ إِلَى الشَّدَائِدِ نَاتَهَا وَمَتَى نَرِ الْحَوْمَاتِ (٥) فِيهَا نُعْنِقِ (٦)

وفي هذه الموقعة تظهر أكثر من قصيدة شعريّة وهي تنافح عن المسلمين، وتردّ عادية الأعداء، ومن تلك القصائد قصيدة حسان بن ثابت ؓ

- (١) المقلّص من الخيول: طويل القوائم ضامر البطن. والورد: الفرس الأشقر الذي حمرة لونه زاهية إلى الصّفرة. والمحجول: الذي في قوائمه بياض يخالف سائر لونه. والأبلق: إذا تجاوز البياض إلى عضديه وفخذه.
- (٢) ترد: تُسرع. الكمّاة: جمع كميّ وهو الشجاع. الملتق: ما يكون عن الطلّ من زلقٍ وطين.
- (٣) العِمَايَة: سحابة الغبار وظلمته. والوشيح: الرماح. المرهق: المذهب للنفوس.
- (٤) دلّقت: تقدّمت. النزق: الطائشون، السبيو الخلق.
- (٥) الحومّات: مواطن القتال، واحدها حومّة.
- (٦) ديوان كعب بن مالك ص ٢٤٦ - ٢٤٧.

التي تصدّى فيها للرّدّ على شاعر الكفّار آنذاك عبد الله بن الزّبيرى الذي أخذ يفتخر بموقف قومه يوم الخندق، ويتناول على المؤمنين، وذلك في قصيدته البائية (١). حيث نظم حسّان بانيته التي يردّ فيها على ابن الزّبيرى، ويبين له الهدف البائس الذي جاءوا من أجله وهو قتل النبي ﷺ والاستيلاء على الغنائم، ولكنهم لم يظفروا من ذلك بشيء، يقول حسّان:

حَتَّى إِذَا وَرَدُوا الْمَدِينَةَ وَارْتَجَوْا قَتَلَ النَّبِيَّ وَمَعَنَمَ الْأَسْلَابِ
وَعَدُوا عَلَيْنَا قَادِرِينَ بِأَيْدِهِمْ رَدُّوا بِغِيظِهِمْ عَلَى الْأَعْقَابِ
بِهُبُوبٍ مُعْصِفَةٍ تُفَرِّقُ جَمْعَهُمْ وَجُنُودِ رَبِّكَ سَيِّدِ الْأَرْبَابِ
وَكَفَى الْإِلَهِ الْمُؤْمِنِينَ تَتَالَهُمْ وَأَتَابَهُمْ فِي الْأَجْرِ خَيْرَ تَوَابِ (٢)

ومن شعراء المشركين من ظلّ يتوعّد بعد هزيمة الخندق، ويعد بردّ قاسٍ في موقعة لاحقة يصطف منها جيش المشركين لمنازلة المسلمين، وذلك ما يعبرّ عنه شاعرهم ضرار بن الخطّاب (٣) الذي رأى أنّ المعركة لم تنته بعد، وأن المنازلة ستكون قريبة، حيث يعبرّ عن ذلك في قصيدته النونية التي قال فيها:

(١) انظر: ديوان عبد الله بن الزّبيرى ص ٢٩، والقصيدة مطلعها:

حَيِّ الدِّيَارِ مَحَا مَعَارِفَ رَسْمِهَا طُولُ الْبَلَى وَتَرَاوُحِ الْأَحْقَابِ

(٢) ديوان حسّان بن ثابت ص ١٢٠.

(٣) هو ضرار بن الخطّاب بن مرداس القرشي الفهري، فارس شاعر، قاتل المسلمين، واسلم يوم فتح مكة. (انظر: الاستيعاب في أسماء الأصحاب لابن عبد البر ٣٣٧/١).

وَمُشَفِّقَةٌ تَظُنُّ بِنَا الظُّنُونَا وَقَدْ قُدْنَا عَرْنَدَسَةً طَحُونَا (١)

وَسَوْفَ نَزُورُكُمْ عَمَّا قَرِيبٍ كَمَا زُرْنَاكُمْ مُتَوَازِرِينَا

بِجَمْعٍ مِنْ كِنَانَةٍ غَيْرِ عَزَلٍ كَأَسَدِ الْغَابِ قَدِ حَمَتِ الْعَرِينَا (٢)

لكنَّ كعب بن مالك ؓ يردُّ على ضرار بن الخطاب، ويوضِّح له طبيعة القتال معه، وأسباب النَّصر التي تنزل عليهم من خالقهم، فهم يسعون إلى رفع راية الإسلام، يتقدَّمهم النَّبِيُّ ﷺ الذي دعاهم إلى دين الهدى والحقِّ، وحثَّهم على الصَّبْرِ واليقين في مواجهة الأعداء، حيث قال:

(١) العَرْنَدَسَةُ: الشَّديدَةُ القويَّة، يريد الكتيبة. والطَّحُونُ: التي تطحن كلَّ ما مرَّت به.

(٢) السَّيْرَةُ النَّبَوِيَّةُ ٢٥٤ - ٢٥٥.

(5) العِدْلُ: المِثْلُ.

وَسَائِلُهُ تُسَائِلُ مَا لَقِينَا وَلَوْ شَهِدَتْ رَأَيْنَا صَابِرِينَا
 صَبْرُنَا لَا نَرَى لِلَّهِ عِدْلًا (٥) عَلَى مَا نَابَنَا مُتَوَكِّلِينَا
 وَكَانَ لَنَا النَّبِيُّ وَزِيرَ صِدْقٍ بِهِ نَعْلُو الْبَرِيَّةَ أَجْمَعِينَا
 نُقَاتِلُ مَعْشَرًا ظَلَمُوا وَعَقُّوا وَكَانُوا بِالْعَدَاوَةِ مُرْصِدِينَا (١)
 نَعَا جِلْمُهُمْ إِذَا نَهَضُوا إِلَيْنَا بِضَرْبٍ يُعْجِلُ الْمُتَسَرِّعِينَا
 وَفِي أَيْمَانِنَا بَيْضٌ خَفِيفٌ بِهِمَا نَشْفِي مِرَاحَ الشَّاغِبِينَا (٢)
 بِبَابِ الْخُنْدَقِينَ كَانَ أَسَدًا شَوَابِكُهُمْ يَحْمِينُ الْعَرِينَا
 لِنَنْصُرَ أَحْمَدًا وَاللَّهِ حَتَّى نَكُونَ عِبَادَ صِدْقٍ مُخْلِصِينَا
 وَيَعْلَمَ أَهْلُ مَكَّةَ حِينَ سَارُوا وَأَحْزَابُ أَتَوْا مُتَحَزِّبِينَا
 بِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ وَأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَا (٣)

وقد أراد الرسول ﷺ أن يؤمن المدينة وحدودها بعد موقعة الخندق مع قريش وبخاصة من الفتنة التي كان يوقد جذوتها يهود بني قريظة وبني

(١) المُرْصِدُ: المُعِدُّ للأمر عُدَّتْهُ.

(٢) المِرَاحُ: النَّشَاطُ. والشَّاغِبِينَ: الذين ديدنهم الشَّغْبُ وتهييج الشر.

(٣) ديوان كعب بن مالك ص ٢٧٩ - ٢٨٠.

النَّضِير، الَّذِينَ اشْتَرَكُوا فِي مَوْعَةِ الْخَنْدَقِ مَعَ قَرِيشٍ، وَقَصَدُوا إِثَارَةَ الْفِتْنَةِ بَيْنَ النَّاسِ فِي الْمَدِينَةِ أَثْنَاءَ الْمَوْعَةِ، حَيْثُ نَقَضُوا عَهْدَ الْأَمَانِ الَّتِي أُبْرِمَهَا الْمُسْلِمُونَ، وَلَجَأُوا لِلْغَدْرِ وَالْمَكِيدَةِ، لِأَجْلِ ذَلِكَ وَجَّهَ النَّبِيُّ ﷺ جَيْشَهُ لِمَحَارِبَتِهِمْ، حَيْثُ حَاصَرَهُمْ فِي حَصُونِهِمْ، وَانْتَصَرَ عَلَيْهِمْ، وَبَاعَتْ كُلُّ مَكَائِدِهِمْ بِالْفِشْلِ، وَنَالُوا جِزَاءَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَهُ مَعَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْإِخْلَافِ بِالْعَهْدِ وَالتَّحَالُفِ مَعَ الْمُشْرِكِينَ، يَقُولُ حَسَّانٌ ﷺ:

لَقَدْ لَقِيتُ فُرْيَظَةَ مَا بَاءَهَا وَحَلَّ بِحِصْنِهَا ذُلٌّ ذَلِيلٌ
فَمَا بَرِحُوا بِنَقْضِ الْعَهْدِ حَتَّى غَزَاهُمْ فِي دِيَارِهِمُ الرَّسُولُ
أَحَاطَ بِحِصْنِهِمْ مِنَّا صُفُوفٌ لَهُ مِنْ حَرٍّ وَثَعْتِهِمَا صِيلٌ
وَصَارَ الْمُؤْمِنُونَ بِدَارِ خُلْدٍ أَتَامَ لَهُمْ بِهَا ظِلٌّ ظَلِيلٌ (١)

(٤) غزوة مؤتة:

كانت غزوة مؤتة - في السنة الثامنة للهجرة - أول معركة تقع بين جيش المسلمين وجيش الروم الذين وصلتهم الأخبار عن قوة ذلك الجيش المسلم، وكان سبب هذه الغزوة أن النبي ﷺ أرسل الحارث بن عمير بكتاب إلى أمير (بصرى) من جهة هرقل، وهو الحارث بن أبي شمّر الغساني، فلما نزل

(١) ديوان حسَّان بن ثابت ص ٢٤٥.

مؤتة تعرّض له شرحبيل بن عمرو الغسّاني وقتله، فلما بلغ الأمر رسول الله ﷺ اشتدّ ذلك عليه، وجّه جيشاً لمقاتلة ملوك الرّوم (١). وقد أمر ﷺ مولاه زيد بن حارثة على ثلاثة آلاف من المسلمين، وندب النّاس وقال لهم: إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على النّاس، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على النّاس، فإن قتل ابن رواحة فليرتض المسلمون بينهم رجلاً فليجعلوه عليهم (٢). والتقى الجيشان جيش المسلمين وجيش الرّوم - الذي كان يقدرّ عدده بمائتي ألف مقاتل - في مكان يقال له مؤتة، فقاتل زيد بن حارثة ﷺ براية رسول الله ﷺ حتّى قُتل في رماح القوم، ثم أخذ الرّاية من بعده جعفر بن أبي طالب ﷺ فقاتل بها حتّى إذا ألحمه القتال، وأحاط به العدو من كل جانب، اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها حتى لا تقع في يد العدو، ثم أقبل يقاتل وهو يردّد أبياتاً تحمل معاني الشّجاعة والبرسالة والتّضحية في ما عند الله من النّعيم والرّضوان، ودخول الجنان، فهو يقاتل ابتغاء ما عند الله، والجنة عنده أسمى مطلوب، وفي ذلك يقول ﷺ :

(١) انظر: تأملات في سيرة الرّسول ﷺ، د. محمّد السيّد الوكيل ص ٢٣٧.
(٢) انظر: السيرة النبويّة ٢/٣٧٣.

يَا حَبِّدَا الْجَنَّةَ وَافْتَرَابُهَا طَيْبَةً وَبَارِدًا شَرَابُهَا
وَالرُّومُ رُومٌ قَد دَنَا عَذَابُهَا كَافِرَةٌ بَعِيدَةٌ أَنْسَابُهَا
عَلَيَّ إِذْ لَاقَيْتُهَا ضَرَابُهَا (١)

ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ .

ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ مِنْ بَعْدِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ . فَتَقَدَّمَ يِقَاتِلُ الرُّومَ، فِدَاخِلَ نَفْسِهِ شَيْءٌ مِنْ رُوعٍ لَا يَخْلُو مِنْهُ الْمَوْقِفُ، فَجَعَلَ يَحْفَظُ نَفْسَهُ وَيَشُدُّ مِنْ عَزِيمَتِهَا، وَهُوَ يَرُدُّ بَعْضَ الْأَبْيَاتِ الشَّعْرِيَّةِ الَّتِي يَقُولُ فِيهَا:

أَفَمَمْتُ يَا نَفْسُ لَتَنْزِلِنَهُ لَتَنْزِلِينَ أَوْ لَتَكْرَهِنَهُ
إِنْ أَجْلَبَ النَّاسُ وَشَدُّوا الرِّئَةَ (٢) مَالِي أَرَاكَ تَكْرَهِينَ الْجَنَّةَ
قَدْ طَالَمَا نَدَّ كُنْتَ مُطْمَئِنَّةً هَلْ أَنْتِ إِلَّا نُظْفَةُ فِي شَنَّةٍ (٣)

ثُمَّ تَقَدَّمَ يِقَاتِلُ، فَأَصِيبَتْ إِصْبَعُهُ، فَارْتَجَزَ قَائِلًا:

(١) المصدر السابق ٣٧٨/٢.
(٢) أَجْلَبَ القَوْمُ: صَاحُوا وَاجْتَمَعُوا. وَالرِّئَةُ: صَوْتٌ فِيهِ تَرْجِيعٌ يَشْبَهُ الْبِكَاءِ.
(٣) ديوان عبد الله بن رواحة - ودراسة في سيرته وشعره - د. وليد قصاب ص ١٥٣.

هَلْ أَنْتِ إِلَّا إِضْبَعُ دَمِيَّتِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيَّتِ

يَا نَفْسُ إِلَّا تَفْتَكِي تُمُوتِي هَذَا حِيَاضُ الْمَوْتِ قَدْ صَلِيَّتِ

وَمَا تَمَنِّيَّتِ فَقَدْ لَقِيَّتِ إِنْ تَفْعَلِي فَعَلَهُمَا هُدِيَّتِ

وَإِنْ تَأَخَّرْتِ فَقَدْ شَقِيَّتِ (١)

فقاتل حتى قُتِلَ ﷺ.

ومن القصص التي تروي صور البطولة والإقدام في حياة الشاعر عبد الله ابن رواحة ﷺ تلك التي رواها ابن هشام. إذ يروي أن رسول الله ﷺ حين جهَّز جيش المسلمين لملاقاة الروم، وكان ابن رواحة القائد الثالث للمعركة إن استشهد سابقاه، وهما زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب -رضي الله عنهما- فلما وُدَّع عبد الله من رسول الله مع من وُدَّع بكى، فقالوا: ما يبكيك يا ابن رواحة؟ فقال: أما والله ما بي حبُّ الدنيا ولا صباية بكم، ولكنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آيةً من كتاب الله -عزَّ وجلَّ- يذكر فيها النار (كك كك كك) (ج ج ك ك) (٢)، فلست أدري كيف لي بالصدور بعد الورود؟ فقال المسلمون: صَحَبَكُمْ اللهُ، ودفَع عنكم، وردَّكم إلينا صالحين (٣)، ثم أنشد ابن رواحة أبياتاً يعبر فيها عمًا في نفسه وهو يسير في الجهاد راجياً مغفرة ربِّه ورضوانه، والفوز بالشهادة في سبيله، إذ قال:

(١) ديوان عبد الله بن رواحة ص ١٥٤.

(٢) سورة مريم، الآية ٧١.

(٣) انظر: السيرة النبوية ص ٣٧٣/٢ - ٣٧٤.



- لَكِنِّي أَسْأَلُ الرَّحْمَنَ مَغْفِرَةً وَضَرْبَةً ذَاتَ فَرْغٍ تَقْذِفُ الزَّبَدَا (١)
 أَوْ طَعْنَةً بِيَدَيِ حِرَّانٍ مُجَهِّزَةً بِحِرْبَةٍ تُنْفِذُ الْأَحْشَاءَ وَالْكَبِدَا (٢)
 حَتَّى يُقَالَ إِذَا مَرُّوا عَلَيَّ جَدَنِي أُرْسِدُهُ اللَّهُ مِنْ غَارٍ وَقَدْ رَشَدَا (٣)

وكان المسلمون لما نزلوا (معان) من أرض الشام هالهم ما رأوا من كثرة عدد الرُّوم وما يملكونه من عتاد، وبدأوا يفكِّرون في ذلك، وهل يرسلون إلى الرسول ﷺ يخبرونه بذلك أم لا؟ فقام عبد الله بن رواحة ؓ يشجِّعهم ويستحثُّهم على القتال، مبيِّناً لهم أنَّ النصر لا يتحقَّق عن كثرة العدد أو العُدَّة وإنما يتحقَّق بالصَّبْر والمصابرة والطَّاعة والإخلاص في إعلاء راية الإسلام، وهزيمة المشركين، فالمجاهد في سبيل الله يقاتل الأعداء وهو يرجو الظَّفَر بإحدى الحسينين، إمَّا النَّصر وإمَّا الشَّهادة في سبيل الله (٤). فتشجَّع النَّاس وقالوا: قد - والله - صدق ابن رواحة، وأنشد في ذلك الموقف يقول:

- جَلَبْنَا الْخَيْلَ مِنْ أَجَاٍ وَفَرْعٍ (٥) تُعْرُ مِنْ الْحَشِيشِ لَهَا الْعُكُومُ (٦)
 حَذَوْنَاهَا مِنَ الصَّوَّانِ سَبْتَا أَزَلَّ كَأَنَّ صَفْحَتَهُ أُدِيمُ (٧)

(١) ذات فرغ: الفرغُ مخرجُ الماء من الدَّلْو. والزَّيْدُ: الرَّغْوَة.

(٢) الحِرَّانُ: العطشان. مُجَهِّزَةٌ: مسرعة متممة، يقال: أجهز على الجريح إذا أماته.

(٣) ديوان عبد الله بن رواحة ص ١٤٧.

(٤) انظر: السيرة النبوية ٣٧٥/٢.

(٥) أجا: أحد جبلي طيء، والآخر سلمى. والفرع: اسم موضع.

(٦) تُعْرُ: تطعم شيئاً بعد شيء. والعُكُومُ: جمع عِكم، وهو الجنب.

(٧) الصَّوَّانُ: حجارة مُلس، واحدها صوانة. أزل: أمس. الأديم: الجلد.

- أَقَامَتْ لَيْلَتَيْنِ عَلَى مَعَانٍ فَأَعْقَبَ بَعْدَ فِتْرَتِهَا جُمُومٌ (١)
 فَرُحْنَا وَالْجِيَادُ مُسَوِّمَاتٌ (٢) تَنْفَسُ فِي مَنَاخِرِهَا السُّومُ
 فَلَا وَأَبِي مَابٍ (٣) لِنَاتَيْنِهَا وَإِنْ كَانَتْ بِهَا عَرَبٌ وَرُومٌ
 فَعَبَانَا أَعْنَتَهَا فَجَاءَتْ عَوَاسٍ، وَالغُبَارُ لَهَا بَرِيمٌ (٤)
 بِذِي لَجَبٍ كَانَ الْبَيْضَ فِيهِ إِذَا بَرَزَتْ قَوَانِسُ النُّجُومِ (٥)
 فَرَاضِيَةٌ (٦) الْمَعِيشَةَ طَلَّقْتُمَا أَسِنْتُمَا، فَتَنَجَّحُ أَوْ تَتِيمٌ (٧)

وفي ليلة السفر إلى مؤتة، وبينما كان الطريق طويلاً وشاقاً، كان عبد الله ابن رواحة ﷺ يستغرق في الأمل بالشهادة والفوز برضوان الله - عز وجل - إذ ذهب ينجي ناقته، ويبشّرها بتحريرها من الأسفار، فلا عودة إلى بلاد النخيل، لأنه عزم في قرارة نفسه على شد الرحال إلى جوار ربّه - جلّ وعلا - حيث يقول:

- (١) الجموم: النشاط والراحة.
 (٢) مسوّمات: معلّّقات.
 (٣) مآب: اسم مدينة في طرف الشام من نواحي البلقاء.
 (٤) البريم في الأصل: خيطان مختلفان أحمر وأبيض، وكلّ ما فيه لونان مختلفان فهو بريم.
 (٥) اللجب: اختلاط الأصوات وكثرتها. والبَيْضُ: ما يوضع على الرأس من الحديد. والقوانس: جمع قونس، وهو أعلى البيضة.
 (٦) راضية: أي مرضية.
 (٧) ديوان عبد الله بن رواحة ص ١٤٩ - ١٥٠.

إِذَا أَدَيْتَنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي مَسِيرَةَ أَرْبَعِ بَعْدِ الْحِجَاءِ (١)

فَسَأَلْتُكَ أَنْعُمًا، وَخَلَاكَ ذَمًّا وَلَا أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي وَرَأْيِي

وَجَاءَ الْمُسْلِمُونَ وَغَادَرُونِي بِأَرْضِ الشَّامِ مُتَّهِي الثَّوَاءِ

وَرَدَّكَ كُلُّ ذِي نَسَبٍ قَرِيبٍ إِلَى الرَّحْمَنِ مُنْقَطِعِ الْإِحْثَاءِ

هُنَالِكَ لَا أَبَايَ طَلَعَ بَعْلٍ (٢) وَلَا نَخْلٍ أَسَافِلُهُمَا رِوَاءِ (٣)

ولا يخفى ما في هذه الأبيات من تعلق الشاعر بالشهادة، والسَّير لأجلها على راحلته، التي بلغت رحلته المأمولة، ولقي ما كان يرجوه من الاستشهاد في سبيل الله، والفوز برضوانه - عزَّ وجلَّ - وهي صورة مؤثِّرة تعكس روح التضحية والفداء التي قدَّمها أولئك المجاهدون في تلك الغزوات.

(٥) فتح مكة:

كانت الإرهاصات لهذا الفتح المجيد منذ وقت مبكر، ففي نهاية العام السادس للهجرة عزم النبي ﷺ أن يدخل مكة معتمراً، فاستنفر المؤمنين بالمدينة ليخرجوا معه، فلما شعر أهل مكة بقدومه أرسلت إليه قريش تستطلع

(١) أَدَيْتَنِي: أوصلتني. والحِجَاءُ: جمع حِجْيٍ، وهو ماء يغور في الرَّمْلِ.

(٢) النَّخْلُ: النُّخْلُ الذي يشرب بعروقه من الأرض فيستغني عن السَّقْيِ، ويقال: استنبل النَّخْلُ: أي: شرب بعروقه.

(٣) ديوان عبد الله بن رواحة ص ١٥١.

الأمر أقتال أم عمرة، فلما علموا بحقيقة الموقف أخذتهم العزة بالإثم، وطلبوا عقد هدنة مع النبي ﷺ والمسلمين تقضي بأن يكف عنهم القتال لعشرة أعوام وأن يرجع إلى المدينة عامهم هذا، فإذا انصرم جاء ومن معه من المسلمين معتمرين في العام القابل، وبعد عودته ﷺ إلى المدينة جرت أحداث كثيرة نقض المشركون خلالها الهدنة وأغاروا على (خزاعة) الداخلة في عهد رسول الله ﷺ، فجهَّز -عليه السلام- الجيش المؤمن وقاده إلى مكة، وحمل علي بن أبي طالب ﷺ اللواء، وفتحت مكة ودخلها رسول الله ﷺ ومن معه وكان ذلك نصراً عظيماً للمسلمين (١).

وقد واكب الشَّعر ذلك الفتح، وأشاد الشُّعراء بما تحقَّق للمسلمين في هذا الفتح من عزٍّ ومنعة ونصر للإسلام، حيث أظهرت القوائد الشُّعريَّة قدرة جيش المسلمين على الفتح، وتمكين الله تعالى لهم. ومن ذلك ما يظهر في قول بُجير بن زهير (٢) حين يصف هذا الفتح، ويشير إلى الطريقة التي التقى فيها الجمعان، جيش المسلمين بعزيمته وصبره وتوكله على الله تعالى، وجيش الكفر بتخاذله وانكساره، فكانت الصَّيحات والطَّعان وقفزات خيل المؤمنين معبرةً عن الفرح بنصر الله، فقد أنهال المؤمنون على خصومهم ضرباً بالسُّيوف، وطعنوا بالرِّماح، حتَّى تحقَّق لهم ما كانوا يأملون فيه من الهجرة، وباء الكفَّار

(١) انظر: التأثير النفسي للإسلام في الشعر ص ١٢١-١٢٢.

(٢) هو: بجير بن زهير بن أبي سلمى المُرزي، أسلم قبل السنة السابعة للهجرة، ودعا أخاه كعباً للإسلام، وشهد مع المسلمين بعض الغزوات ومنها فتح مكة. (انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ١٤١/٢).

بالحزيمة والخسران، وفي ذلك يقول بجير:

ضَرَبْنَاَهُمْ بِمَكَّةَ يَوْمَ فَتَحِ النَّدِّ سَبِيَّ الْخَيْرِ بِالْبَيْضِ الْخِفَافِ
صَبَّخْنَاَهُمْ بِسَبْعِ (١) مِنْ سَلِيمِ وَأَنْفٍ مِنْ بَنِي عَثْمَانَ وَأَفِ
نَطًا أَكْتَفَاهُمْ ضَرْبًا وَطَعْنًا وَرَشْقًا بِالرَّيْشَةِ اللَّطِيفِ (٢)
تَرَى بَيْنَ الصُّوفِ لَهَا حَفِيفًا كَمَا انْصَاعَ الْفُوقِ مِنْ الرَّصَافِ (٣)
فَرَحْنَا وَالْحِيَادُ تَجُولُ فِيهِمْ بِأَرْمَاحٍ مَقْوَمَةِ الثَّقَافِ
فَأَبْنَا غَانِمِينَ بِمَا اشْتَهَيْنَا وَأَبَوْا نَادِمِينَ عَلَى الْخِلَافِ
وَأَعْطَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ مِنَّا مَوَانِقَنَا عَلَى حُسْنِ التَّصَافِي
وَقَدْ سَمِعُوا مَقَالَتَنَا فَهَمُّوا نَدَاةَ الرَّوْعِ مِنَّا بِأَنْصِرَافِ

ويتوقف العباس بن مرداس السلمي (٤) ﷺ عند فتح مكة بعد أن اشترك

(١) بسبع: أي بسبع مائة. وبنو عثمان: هم مُزينة.

(٢) نَطًا: أراد نَطًا، فحَقَّفَ الهمزة. والرَّشْقُ: الرَّمي السَّرِيع. والمريشة: يعني السَّهْم ذوات الريش.

(٣) الحفيف: الصَّوْت. وانصاع: انشَقَّ. والفواقُ هنا: الفوق، وهو طرف السَّهْم الذي يلي الوتر. والرَّصَافُ: جمع رصفة، وهي عصبَةٌ تُلَوَّى فوق السَّهْم.

(٤) هو: العباس بن مرداس بن أبي عامر بن حارثة السلمي، يكنى أبا الهيثم، وهو من شعراء البادية، أسلم قبيل فتح مكة، وشارك مع قومه في الجهاد ونصرة الإسلام، توفي سنة ١٨ هـ. (انظر: الإصابة لابن حجر ١/٣٤٢).

مع قومه من بني سُلَيْمٍ في ذلك الفتح، حيث يبيِّن في إحدى قصائده القوَّة
العدديَّة لقومه الذين شاركوا تحت إمرة النَّبِيِّ الكَرِيمِ ﷺ موضَّحاً ما كانوا عليه
من الإقدام، والبسالة، والتَّضحية من أجل تحقيق النَّصر، حيث يقول:

مِنَّا بِمَكَّةَ يَوْمَ فَتَحِ مُحَمَّدٍ أَلْفُ تَسِيلٍ بِهِ الْبِطَاحُ (١) مُسَوِّمٌ

نَصَرُوا الرَّسُولَ، وَشَاهَدُوا أَيَّامَهُ وَشِعَارَهُمْ (٢) يَوْمَ اللَّقَاءِ مُقَدِّمٌ

فِي مَنْزِلٍ نَبَتَتْ بِهِ أَفْدَانُهُمْ ضَنْكَ كَأَنَّ الْهَامَ فِيهِ الْحَنْتَمُ (٣)

جَرَّتْ سَنَابِكُهَا بِنَجْدٍ قَبْلَهَا حَتَّى اسْتَفَادَ لَهَا الْحَبَازُ الْأُدْهَمُ

اللَّهُهُ مَكَّنَهُ لَهُ وَأَذَلَّهُ حَكْمُ السُّيُوفِ لَنَا وَجَدَ مِرْحَمُ (٤)

عَوْدُ الرِّيَاسَةِ شَامِخٌ (٥) عَرِينُهُ مُتَطَلِّعٌ ثَغَرَ الْمَكَارِمِ خَضْرَمُ (٦)

وينطلق حسان بن ثابت ﷺ في همزيته من جانب الدِّفاع عن الدَّعوة
الإسلاميَّة وصاحبها ﷺ الذي ما فتئ المشركون يكيلون له السِّباب، والتُّهْم،
ويرمونه بأبشع الصِّفات في وقت هو يسعى إلى هدايتهم ودخولهم الدِّين الحق

(١) البِطَاحُ: جمع بطحاء، وهي الأرض السَّهلة المتسعة.

(٢) شعارهم: علامتهم في الحرب.

(٣) ضنك: ضيق. والهام: الرؤوس. والحنتم: الحنظل.

(٤) مزحم: كثير المزاحمة، يريد أن جدَّهم غالب.

(٥) العَوْدُ (هنا): الرَّجُلُ المُسِنُّ. وشامخٌ: مرتفع، والخضرمُ: الجواد الكثير العطاء.

(٦) السِّيرة النَّبَوِيَّةُ ٢/٤٢٦ - ٤٢٧.

لينعموا بسماحته وعدله، ولكن أئمة الكفر ورؤوس الفتنة ظلُّوا يكيدون له، ولذا هجاهم حسان ر بما قدّمت أيديهم في تعذيب المؤمنين، والتطاول على سيد المرسلين ﷺ، حيث يقول:

أَلَا أُبَلِّغُ أَبَا سُفْيَانَ (١) عَنِّي فَأَنْتَ مُجَوِّفٌ نَخْبٌ هَوَاءُ
هَجَوْتُ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ الْجَزَاءُ
أَتَهَجُّوهُ وَأَنْتَ لَهُ بِكُفٍّ فَشَرُّكُمَا لِخَيْرِكُمَا الْفِئَاءُ
هَجَوْتُ مُبَارَكًا بَرًّا حَنِيفًا أَمِينُ اللَّهِ، شِمْتَهُ الْوَفَاءُ
فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ وَيَمْدَحُوهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ
فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعَرِضِي لِعَرِضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ
لِسَانِي صَارِمٌ لَا عَيْبَ فِيهِ وَبَخْرِي مَا تُكَدِّرُهُ الدَّلَاءُ (٢)

وكما يظهر في البيت الأخير فإن حسان رضي الله عنه يفخر بفصاحته وبلاغته وجودة شعره، فإذا كان الأعداء يظنون أنهم ينالون من المسلمين بشعرهم فإن هذا السلاح هو أقوى وأقوى لدى المسلمين؛ لأنهم يدعون إلى الحق، ويذودون عن عقيدتهم بسنانهم ولسانهم.

(١) هو أبو سفيان الحارث بن عبد المطلب.

(٢) ديوان حسان بن ثابت ص ٧٥-٧٦.

ويصف العباس بن مرداس رضي الله عنه طريقة الجيش الفاتح في السير إلى الجهاد، وكيف أنهم يسيرون تحت إمرة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ويطيعونه فيما أمر، ويجتنبون ما نهى عنه، الأمر الذي حقق لهم الفلاح، وأخضع الأقوام للدخول في دين الله، وفي ذلك يقول:

فَمَنْ مَبِغُ الْأَقْوَامِ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ الْإِلَهِ رَاشِدٌ حَيْثُ يَمَّمَا
 دَعَا رَبَّهُ وَاسْتَنْصَرَ اللَّهَ وَحَدَه فَأَصْبَحَ قَدْ وَتَّى إِلَيْهِ وَأَنْعَمَا
 سَرِينَا وَوَأَعَدْنَا قَدِيدًا مُحَمَّدًا يَوْمُ بِنَا أَمْرًا مِنَ اللَّهِ مُحْكَمَا
 تَمَارُوا بِنَا فِي الْفَجْرِ حَتَّى تَبِينُوا مَعَ الْفَجْرِ فَتِيَانًا وَغَابًا مُؤَمَّمَا
 فَإِنَّ سَرَاةَ الْحَيِّ إِنْ كُنْتَ سَائِلًا سُلَيْمٌ وَفِيهِمْ مِنْهُمْ مَنْ تَسَلَّمَا
 وَجُنْدٌ مِنَ الْأَنْصَارِ لَا يَخْذُلُونَهُ أَطَاعُوا فَمَا يَعْصُونَهُ مَا تَكَلَّمَا (١)

وبعد الفتح الإسلامي وما أدخله من فرح في النفوس توجه المسلمون بقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الطائف لدعوة أهلها إلى الدخول في الإسلام، وبيان موقفهم منه، وكان مع الركب المتجه إلى الطائف كعب بن مالك رضي الله عنه الذي نظم قصيدته في وصف المعارك التي خاضها جيش المؤمنين، وقد تكلمت بالنصر المؤزر، وما تبع ذلك من دخول الناس في دين الله أفواجاً حتى وصل ذلك الجيش إلى

(١) السيرة النبوية ٤/١١٠-١١١.

الطائف(١)، ليكمل رسالته في نشر الدعوة الإسلامية، حيث يقول كعب في مطلع قصيدته:

تَضِينَا مِنْ تَهَامَةٍ كُلِّ رَيْبٍ وَخَيْبَرٍ، ثُمَّ أَجْمَمْنَا (٢) السُّيُوفَا
 نُخَيْرُهَا، وَلَوْ نَطَقَتْ لَقَالَتْ تَوَاطِعُهُنَّ؛ دَوْسًا أَوْ تَقِيْفَا
 فَسِتُّ لِحَاضِنِ (٣) إِنْ لَمْ تَرَوْهَا بِسَاحَةِ دَارِكُمْ مِنْهَا أَلْوَفَا
 وَنَتَزَعُ العُرُوشَ بِبَطْنِ (وَجِّ) (٤) وَتُصْبِحُ دُورَكُمْ مِنْهَا خُلُوفَا
 وَيَأْتِيكُمْ لَنَا سَرَعَانُ خَيْبَلٍ يُغَادِرُ خَلْفَهُ جَمْعًا كَثِيْفَا
 بِأَيْدِيهِمْ تَوَاضِبُ مُرَهَفَاتٍ يُزِرْنَ الْمُصْطَلِينَ بِهَا الحُتُونَا
 كَأَمْثَالِ العَقَائِقِ أَخْلَصَتْهَا تُيُونُ الهِنْدِ لَمْ تُضْرَبْ كَتِيْفَا (٥)
 تَقَالُ جَدِيَّةُ الأَبْطَالِ فِيهَا غَدَاةَ الزَّحْفِ جَادِيًّا (٦) مَدُوفَا (٧)

وبعد هذه المقدمة التي أبان فيها كعب ﷺ عما صنعه المسلمون مع

(١) انظر: التأثير النفسي للإسلام في الشعر ص ٢٣٩.

(٢) أَجْمَمْنَا: أَرْحْنَا.

(٣) الحَاضِنُ: المرأة التي تحضن ولدها.

(٤) وَجِّ: من أسماء الطائف. (انظر: معجم البلدان ٣٦١/٥).

(٥) العَقَائِقُ: جمع عقيقة، وهي شعاع البرق. وكتيف: جمع كتيفة، وهي الصَّفَائِح الحديد التي تستعمل في صنع الأبواب.

(٦) الجَدِيَّةُ: الطَّرِيقَةُ من الدَّم. والجاديُّ: الرَّعْفَان. ومدوفٌ: مخلوط بغيره.

(٧) ديوان كعب بن مالك ص ٢٣٤ - ٢٣٥.

أعداء الدَّعوة الذين لم يستجيبوا لنداء الحقِّ، انطلق بعد ذلك إلى إنذار المشركين بما ينتظرهم من سوء العاقبة إن لم يتَّبعوا الطَّريق الحقِّ، وإشهادهم بأنَّهم قادمون، فمن آثر السَّلام فليسلم بما جاء به المصطفى ﷺ ليعيش عيشة راضيةً، ومن لم يسلم، أو تحدَّته نفسه بالموادعة، فليتحمل وزره ووزر من اتَّبعه، أو استجاب لنصحه (١)، حيث ينطلق كعب في هذا المعنى فيقول:

أَجِدَّهُمْ أَلَيْسَ لَهُمْ نَصِيحٌ مِنْ الْأَنْوَامِ كَانَ بِنَا عَرِيفًا (٢)
يُخَبِّرُهُمْ بِأَنَا قَدْ جَمَعْنَا عِتَاقَ الْخَيْلِ وَالنُّجُبَ الطُّرُوفَا (٣)
وَأَنَا قَدْ أَتَيْنَاهُمْ بِزَحْفٍ يُحِيطُ بِسُورِ حَصْنِهِمْ صُفُوفَا
رَأَيْتُهُمُ النَّبِيَّ وَكَانَ صَابًا نَقِيَّ الْقَلْبِ مُصْطَبِرًا عَزُوفَا
رَشِيدَ الْأَمْرِ ذُو حُكْمٍ وَعِلْمٍ وَحِلْمٍ لَمْ يَكُنْ تَرْتَا خَفِينَا

(١) انظر: التأثير النفسي للإسلام في الشعر ص ٢٤٠.
(٢) أَجِدَّهُمْ: بكسر الجيم وفتحها بمعنى: أجدُّ منك هذا، ونُصبت على طرح الباء. وعَرِيفًا: عارفًا.
(٣) عِتَاقُ: جمع عتيق. والنُّجُبُ: جمع نجيب. والطُّرُوفُ: جمع طُرْفٍ (بكسر الطاء)، وكلها صفات للخيل بمعنى: الكريمة الأصل.

نُطِيعُ نَبِيَّنَا وَنُطِيعُ رَبَّنَا هُوَ الرَّحْمَنُ كَانَ بِنَا رُؤُوفًا
 فَإِنْ تَلَّوْا إِلَيْنَا السَّلَامَ نَقْبَلُ وَنَجْمَلُكُمْ لَنَا عَضُدًا وَرِيْفًا (١)
 وَإِنْ تَابُوا نُجَاهِدْكُمْ وَنَضْبِرُ وَلَا يَكُ أَمْرُنَا رَعِيْشًا ضَعِيْفًا
 نُجَادُ مَا بَقِيْنَا أَوْ نُئِيْبُوا إِلَى الْإِسْلَامِ إِذْعَانًا مُضِيْفًا (٢)
 نُجَاهِدُ لَا نُبَالِي مَنْ لَقِيْنَا أَهْلَكْنَا التَّلَادَ أَمْ الطَّرِيْفَا
 لِأَمْرِ اللَّهِ وَالْإِسْلَامِ حَتَّى يَقُومَ الدِّيْنُ مُعْتَدَةً حَنِيْفًا (٣)

فقد أبان كعب رضي الله عنه في هذه الأبيات عن السَّبب في المضى إلى الجهاد وتحقيق الانتصارات وهو الدَّعوة إلى الإسلام والدُّخول فيه، وإخراج النَّاس من دياجير الشُّرك والضَّلَال إلى أنوار الهداية والإيمان، لذا كانت هذه الدَّعوة هي السِّمة البارزة في شعر الغزوات، حيث أبان الشُّعراء في كثير من قصائدهم عن حرصهم على دخول النَّاس في هذه الدَّعوة المباركة، والاستنارة بنور الإسلام، كي يتفَيَّؤوا ظلاله، وينعموا بسماحته وعدله.

* * *

(١) الرِّيفُ: الموضع المخصب على الماء. يريد تتخذكم أعواناً على الحرب، ونستمدُّ من ريفكم العيش.
 (٢) نُجَالِدُ: نحارب بالسُّيوف. ومضيفاً: ملجئاً.
 (٣) ديوان كعب بن مالك ص ٢٣٥ - ٢٣٧.

الفصل الثاني : القيم الفنية في شعر الغزوات

أولاً: أثر القرآن الكريم في أسلوب الشعر

من الجوانب البارزة في شعر الغزوات ما اتَّسم به ذلك الشَّعر من الميل إلى الألفاظ والمعاني القرآنيَّة، وذلك من خلال الاقتباس من الذِّكر الحكيم، فقد تأثَّر الشعراء من الصَّحابة - رضوان الله تعالى عليهم - بالقرآن الكريم وبيدع أسلوبه وجمال معانيه، فكان أسلوبه المعجز محلَّ اهتمامهم وإجلالهم، ولذا فقد عمدوا إلى الاستنارة بنوره، والإفادة من معانيه السَّامية في أشعارهم، وهو ما ظهر جلياً في اقتباسات حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة، وغيرهم من الصَّحابة - رضوان الله تعالى عليهم - وهو ما سيُتَّضح من خلال الوقوف على تلك الأشعار.

الاقتباس من القرآن الكريم:

توقَّف شعراء الغزوات عند بعض الآيات القرآنيَّة، وتمثَّلوا معانيها، وأدخلوها في أشعارهم التي تتحدَّث عن نصره الإسلام، والدِّفاع عن العقيدة الإسلاميَّة، والتَّصدِّي للمشركين الذين ما فتئوا يناولون من المسلمين، ويتعرَّضون لهم بالهجاء. وكان من أولئك المتأثِّرين بالقرآن الكريم حسان بن ثابت الأنصاري ؓ فقد عبَّر شعر الغزوات عنده عن معانٍ إيمانيَّة عميقة، تستلهم رؤيتها الحقَّة من القرآن الكريم، ومن ذلك ما يظهر في قوله:

وَقُلْتُمْ لَنْ نُرَى، وَاللَّهُ يُبْصِرُكُمْ وَفِيكُمْ مُحْكَمُ الْآيَاتِ وَالْقِيلِ

مَحْمَدٌ وَالْعَزِيزُ اللَّهُ يُخْبِرُهُ بِمَا تَكُنُّ سَرِيرَاتُ الْأَقَاوِيلِ (١)

فالبيت الأول مقتبس من قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ تَطُّ طُ دُطُّفُ فُفُّ

فُفُّ ﴾ (٢). والبيت الثاني مقتبس من قوله تعالى: ﴿ □ □ □ □ □ □

□ ﴾ (٣).

وفي رائية كعب بن مالك ؓ التي ردَّ بها على قصيدة ضرار بن الخطاب

يقول في مطلعها:

عَجِبْتُ لِأَمْرِ اللَّهِ وَاللَّهُ تَادِرٌ عَلَيَّ مَا أَرَادَ لَيْسَ لَهُ تَاهِرٌ (٤)

فالبيت فيه إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وُؤُؤُ وُؤُؤُ وُؤُؤُ وُؤُؤُ ي ب ﴾ (٥).

ويقول كعب ؓ في بعض معانيه التي تستلهم المعاني القرآنية:

(١) ديوان حسَّان بن ثابت ص ٣٠٢.

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٠٣.

(٣) سورة القصص، الآية ٦٩.

(٤) ديوان كعب بن مالك ص ١٣٨.

(٥) سورة الرعد، الآية ١١.

وفي غزوة مؤتة وقف عبد الله بن رواحة رضي الله عنه ذلك الموقف البطولي، وذلك حين خاطب نفسه راجياً منها أن تطلب الشهادة في سبيل الله، وترجو ما عند الله - عزَّ وجلَّ - حيث يقول:

أَفَسَمْتُ يَا نَفْسُ لَتَنْزِلَنَّهْ طَائِعَةً أَوْ لَا تُكْرَهَنَّهْ

قَدْ طَأَمَّا قَدْ كُنْتَ مُطْمَئِنَّةً جَعَفَرُ مَا أَطْيَبَ رِيحَ الْجَنَّةِ! (١)

حيث يشير في الشطر الثاني من البيت الثاني إلى المعنى الوارد في قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ذُرِّزَتْ رِزْزَاتٌ كَرِيْمَةٌ﴾ (٢).

وفي شعر حسَّان بن ثابت رضي الله عنه تظهر رباطة المجاهد المسلم المتوكِّل على الله، الذي لا يخشى كثرة عدد الأعداء ولا عدَّتْهم، إذ يقول:

فَمَا نَخْشَى بِحَوْلِ اللَّهِ تَوْمًا وَإِنْ كَثُرُوا وَأَجْمَعَتِ الزُّهُوفُ

إِذَا مَا أَبُّوَا جَمْعًا عَلَيْنَا كَفَانَا حُدَّهْمُ رَبِّ رُؤُوفُ

لَقَيْنَاهُمْ بِهَا لَمَّا سَمَوْنَا وَنَحْنُ عَصَابَةٌ وَهُمْ أُلُوفُ (٣)

ففي هذه الأبيات يظهر أثر المعاني القرآنية، حيث يشير البيت الأول إلى قوله

(١) ديوان عبد الله بن رواحة ص ١٥٣.

(٢) سورة الواقعة، الآية ٨٨ - ٨٩.

(٣) ديوان حسَّان ص ٣٥٢.

وَوُوؤِيِي (١)

وعلى هذا النحو فقد ظهر أثر القرآن الكريم في أساليب الشعراء، الذين تحدثوا عن الغزوات، وناقحوا عن عقيدتهم، وتصدّوا للمشركين في كثير من المواقع، وقد أعطى ذلك التأثير شعرهم قوّة في التعبير، وأسلوباً سهلاً أزاح عن طريقهم خشونة الألفاظ الجاهليّة التي كانت سمة بارزة قبل ظهور الإسلام.

* * *

ثانياً: اللغة الشعرية:

اللغة عنصر رئيس من عناصر الإبداع الشعري، وهي الوسيلة التي تفصح عن مدلول الشاعر ومراده، وذلك من خلال ما يبثه في شعره من مشاعر وشجون.

والشعر الجيد هو الذي يمتاز بتجانس الألفاظ والمعاني، فترق تلك الألفاظ في المواضع التي تتطلب الرقة، وتجزل وتشتد في المواضع التي تتطلب الشدة والفخامة، وهو ما دعا إليه القاضي الجرجاني في قوله: ((أرى لك أن تقسم الألفاظ على رتب المعاني)) (١).

والمتمامل في ألفاظ شعر الغزوات يجد أنها اتسمت في جانب كبير منها بالجزالة، وقد حدد النقاد ملامح اللفظ الجزل في الكلام بأنه هو الذي ((يكون متيناً على عدوبته في الفم، ولذاذته في السمع)) (٢)، فلا تشويه وحشية أو وعورة، كما بينوا المواضع التي يستعمل فيها اللفظ الجزل، ومنها ما ((يكون في وصف مواقف الحروب، وفي قوارع التهديد والتخويف، وأشباه ذلك)) (٣).

ومن أمثلة ذلك ما يظهر في قصيدة كعب بن مالك ؓ في موقعة الخندق، التي يقول فيها:

(١) الوساطة بين المتنبّي وخصومه ص ٢٤.

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ١/١٨٥.

(٣) المصدر السابق ١/١٨٥.

مَن سَرَّهُ ضَرْبٌ يَمَعِمُ بَعْضُهُ بَعْضاً كَمَعَمَمَةِ الْأَبَاءِ الْمُحْرِقِ
 فُلْيَاتٍ مَّأْسَدَةً تُسَنُّ سِيُوفُهَا بَيْنَ الْمِدَادِ وَبَيْنَ جِرْعِ الْخُنْدَقِ
 نَصِلُ السُّيُوفِ إِذَا قُصِرْنَ بِخَطُونَا قُدُمًا، وَتُلْحِقُهَا إِذَا لَمْ تُلْحِقِ
 فَتَرَى الْجَمَاجِمَ ضَاحِيًا هَامَاتُهَا بَلَّهَ الْأَكْفَ كَأَنَّهَا لَمْ تُخْلِقِ
 تَلْقَى الْعَدُوَّ بِفَخْمَةٍ مَلْمُومَةٍ تَنْفِي الْجُمُوعِ كَقَصْدِ رَأْسِ الْمَشْرِقِ
 وَنُعِدُّ لِلْأَعْدَاءِ كُلِّ مَقْلَاصِي وَرَدِّ وَمَحْجُولِ الْقَوَائِمِ أَبْلَاقِ
 تَرْدَى بِفُرْسَانٍ كَأَنَّ كُمَاتَهُمْ عِنْدَ الْهَيْبَاجِ أُسُودٌ طَلٌّ مُثْقِ (١)

حيث يصف كعب رضي الله عنه حماسة جيش المسلمين، واستعدادهم للقاء
 المتحرّيين من المشركين في يوم الخندق، وقدرتهم على إلحاق الهزيمة بهم إذا
 قدموا لحرب المسلمين، مبيّنًا ما امتاز به ذلك الجيش من التّعوّد على خوض
 المعارك ومنازلة الأعداء، وإعمال السُّيُوف فيهم، حيث يظهر دور الفرسان
 المسلمين على خيولهم المضمّرة المعدّة للقتال فكأنّهم أسود يحمون عرينهم،
 ويدافعون عنه بكلّ بسالة، وقد اعتمد الشّاعر في وصف تلك المشاهد
 الحماسيّة على الألفاظ الجزلة، ومن تلك الكلمات (ضرب، يمعع، المحرق،
 مأسدة، سيوفها، الجماجم، هاماتها، العدو، بفخمة، ملمومة، مقلّص، ورد،

(١) ديوان كعب بن مالك ص ٢٤٥ - ٢٤٦.

محجول، أبلق، بفرسان، كقاتهم، الهياج، أسود، ملثق) فهي ألفاظ تتسم بالقوّة، وشدّة الجرس، وتوحي بجوّ المعركة، وما يكتنفه من اصطدام الجيوش، وصليل السيوف، وشدّة أعمالها في الأعداء.

ويستخدم العباس بن مرداس رحمته الله الألفاظ الجزلة في وصف فتح مكّة، وما تحقّق فيه للمسلمين من عزّ ومنعة، يقول:

مِنَّا بِمَكَّةَ يَوْمَ فَتَحِ مُحَمَّدٍ أَلْفٌ تَسِيلُ بِهِ الْبَطَاحُ مُسَوِّمٌ
فِي مَنْزِلٍ ثَبَّتَتْ بِهِ أَدْمُهُمْ ضَنْكَ كَأَنَّ الْهَامَ فِيهِ الْحَنْتَمُ
جَرَّتْ سَنَايَكُمَا بِنَجْدٍ تَبْلَهُمَا حَتَّى اسْتَقَادَ لَهَا الْحِجَازُ الْأَدْهَمُ (١)

فالشاعر هنا يصوّر ما دار يوم فتح مكّة من حشد الجيوش المتأهّبة للفتح، ومنهم قومه من بني سليم الذين شاركوا بفرسانهم في ذلك الفتح، وأظهروا ثباتهم ورباطة جأشهم في تلك المناسبة العظيمة، وقد ألبس الشاعر تلك المعاني ألفاظاً تناسبها في القوّة والشدّة، وتوحي بصور البسالة والإقدام، حيث اعتمد في ذلك على ألفاظ اتّسمت بالمتانة والجزالة، ومن تلك الألفاظ ((تسيل، البطاح، مسوّم، ضنك، الهام، الحنتم، جرّت، سنايكها، استقاد، الأدهم) فهذه الألفاظ ترسم صورةً تموج بالحركة والقوّة، لتجسّد ما شهده ذلك الفتح من قوّة وشجاعة من قبل جيش المسلمين.

(١) السيرة النبويّة ٢/٤٢٦.

ومن الجوانب البارزة في شعر الجهاد شيوع الألفاظ الإسلامية التي جاءت مع الدين الجديد، حيث تأثر بها الشعراء، وأدخلوها في معجمهم الشعري، فجاءت قصائدهم الشعرية تحفل بتلك الألفاظ، التي هي مظهر من مظاهر الشعر في عصر صدر الإسلام (١). ومن أمثلة ذلك ما يظهر في قول حسّان بن ثابت رضي الله عنه في موقعة الخندق:

وَكَفَى الْإِلَهِ الْمُؤْمِنِينَ قِتَالَهُمْ وَأَثَابَهُمْ فِي الْأَجْرِ خَيْرَ ثَوَابٍ
 مِنْ بَعْدِ مَا تَنَطَّوْا فَفَرَّجَ عَنْهُمْ تَنْزِيلُ نَصِّ مَلِكِنَا الْوَهَّابِ
 وَأَقْرَعَ عَيْنَ مُحَمَّدٍ وَصَحَابِهِ وَأَذَلَّ كُلَّ مَكْذِبٍ مُرْتَابِ
 مُتَشَعِّرٍ لِلْكَفْرِ دُونَ نِيَابِهِ وَالْكَفْرِ لَيْسَ بِطَاهِرٍ الْأَنْثَوَابِ (٢)

فالشاعر يشير إلى ما آلت إليه موقعة الخندق من تفرق جموع المشركين، وتشتت حشودهم، ورجوعهم خائبين، وقد كفى الله المؤمنين القتال، وأثابهم الأجر على ما بذلوا في مواجهة الكفار، حيث كانت العزة للمسلمين، والذلة والخزي للكافرين.. وقد جاء النصُّ يزخر بالألفاظ الإسلامية، ومن ذلك (الإله، المؤمنين، أثابهم، الأجر، ثواب، تنزيل، نص، ملكنا، الوهاب، صحابه،

(١) انظر: الشعر الإسلامي في صدر الإسلام د. عبد الله الحامد ص ١٠٥، شعر العقيدة في عصر صدر الإسلام لأيهم القيسي ص ٣١٧، الأدب في عصر النبوة والراشدين د. صلاح الدين الهادي ص ٢٥٩.
 (٢) ديوان حسّان بن ثابت ص ١٢٠.

مكذّب، مرتاب، الكفر، ظاهر) فهذه الألفاظ أبانت عن المعنى العام الذي قصد إليه الشاعر، وأكسبته دلالةً جديدةً، تدلُّ على تأثر حسان ؓ بالمعاني الإسلامية، والقيم الدنيئة التي أتى بها الدين الحنيف.

ويشير كعب بن مالك ؓ إلى أن الدعوة إلى الإسلام، والحرص على دخول الناس فيه هو السبب في مسيرة الجهاد، وانطلاق المسلمين لإعلاء راية الحق، حتى ينتشر الإسلام في شتى الأصقاع، يقول:

نَجَادُ مَا بَقِينَا أَوْ تُنِيبُوا إِلَى الْإِسْلَامِ إِذَعَانًا مُضِيْفًا
نُجَاهِدُ لَا نُبَالِي مَنْ لَقِينَا أَهْلَكْنَا التَّلَادَ أَمْ الطَّرِيفَا
لَأَمْرِ اللَّهِ وَالْإِسْلَامِ حَتَّى يَقُومَ الدِّينُ مُعْتَدِلًا حَنِيفًا (١)

فقد اعتمد الشاعر في أبياته على القاموس الإسلامي، واختار منه ما يعبر عن مضمونه بما يناسبه من الألفاظ الإسلامية، ومنها (الإسلام، نجاهد، أمر الله، الدين، معتدلاً، حنيفاً).

ومن سمات التراكيب في شعر الجهاد غلبة البساطة والعموية على هذا الشعر، فهو شعر مطبوع، يبتعد عن التعقيد والالتواء، وذلك يعود إلى أثر الثقافة الإسلامية النابعة من تأثير القرآن الكريم والحديث النبوي، وشفاء اللغة التي ورد بها، فهي لغة منتقاة، تبتعد عن الخشونة، كل ذلك أدى إلى وضوح

(١) ديوان كعب بن مالك ص ٢٣٥ - ٢٣٧.

التراكيب في شعر الجهاد وحسن تأليفها، وبعدها عن التنافر والتعقيد، ومن أمثلة ذلك ما يظهر في قصيدة كعب بن مالك ؓ التي نظمها يوم الخندق، يقول:

وَسَائِلُهُ تَسْأَلُ مَا لَقِينَا وَلَوْ شَهِدَتْ رَأَيْنَا صَابِرِينَ
صَبْرَنَا لَا نَرَى لِلَّهِ عِدًّا عَلَى مَا نَابَنَا مُتَوَكِّلِينَ
وَكَانَ لَنَا النَّبِيُّ وَزِيرَ صَدَقٍ بِهِ نَعْلُو الْبَرِيَّةَ أَجْمَعِينَ
نُقَاتِلُ مَعْتَرًا ظَلَمُوا وَعَقُّوا وَكَانُوا بِالْعَدَاوَةِ مُرْصِدِينَ (١)
نُعَاجِلُهُمْ إِذَا نَهَضُوا إِلَيْنَا بِضَرْبٍ يُعْجِلُ الْمُتَسَرِّعِينَ
لِنَنْصُرَ أَحْمَدًا وَاللَّهَ حَتَّى نَكُونَ عِبَادَ صِدْقٍ مُخْلِصِينَ (٢)

حيث يصف كعب ؓ ما أصاب المسلمين في موقعة الخندق التي تحزب فيها المشركون واليهود والقبائل الموالية لهم، وساروا لحرب المسلمين، الذين واجهوا أولئك المتحزبين بالصبر، واليقين، والتوكل على الله - عز وجل - فكان النصر حليفهم، وكانت الهزيمة والذلة من نصيب تلك الأحزاب التي تحالفت وتآمرت من أجل العدوان على المسلمين.. وقد عبّر الشاعر عن تلك

(١) المرصد: المبدأ للأمر عُدته.

(٢) ديوان كعب بن مالك ص ٢٧٩ - ٢٨٠.

المعاني بألفاظ سهلة واضحة تتلاءم مع طبيعة الموضوع، وصاغها في عبارات متألّفة متجانسة، ومن تلك العبارات: (ولو شهدت رأنا صابرينا، على ما نابنا متوكّلينا، وكان لنا النبي وزير صدق، نقاتل معشراً ظلموا وعقّوا، نعاجلهم إذا نهضوا إلينا) حيث يظهر ترابط تلك العبارات وتماسكها، وقدرتها على التعبير عمّا يرمي إليه الشاعر بوضوح. وهذه السّمة تلحظ بوضوح في أغلب الشّعْر الذي صاغه الشّعراء حول الغزوات (١)، حيث تأنّفوا في صوغ عباراتهم، والعناية بأساليبهم، وبخاصّة؛ لأنّ هذا الشّعْر يردُّ على المشركين، وينقضّ قصائدهم التي تعرّضوا فيها للمسلمين (٢).

* * *

(١) راجع مثلاً: ديوان حسّان بن ثابت ص ٧١-٧٥، ٩٣، ٩٦، ١١٩، ١٢٠، ديوان عبدالله بن رواحة ص ١٣٨، ١٤٧، ديوان كعب بن مالك ص ٢٣٤-٢٣٧، ٢٥٥-٢٥٨.

(٢) راجع مثلاً: السّيرة النبويّة ٢/٢٥٤ - ٢٥٥، ٢٥٧ - ٢٥٨، ديوان عبد الله بن الرّبّيع ص ٢٩-٣٠، ٣٧ - ٣٩، ٤٠ - ٤٣.

ثالثاً: الصورة الفنية:

تعدُّ الصُّورة من أهمِّ العناصر الفاعلة في القصيدة الشَّعريَّة، لكونها من الوسائل الفنِّيَّة التي يعتمد عليها الشُّعراء في التَّعبير عن أفكارهم، لتقريب المعاني وزيادة توضيحها للتأثير في السَّامع. والصُّورة بناءً على ذلك ((ليست زينةً شكليَّةً، أو حليةً مصطنعةً، وإنَّما أداةً أساسيةً لتوصيل الخبرة والتَّعبير عن الرُّؤية)) (١).

وتظهر الصُّورة بشكل أوضح من خلال ((الشَّكل الفنِّي الذي تتَّخذه الألفاظ والعبارات بعد أن ينظمها الشَّاعر في سياق خاص ليعبِّر عن جانب من جوانب التَّجربة الشَّعريَّة)) (٢) معتمداً في ذلك على وسائل التَّعبير المختلفة في رسم مشاهداته ونظراته الخاصَّة للأشياء.

وتأتي الفنون البيانيَّة في مقدِّمة الصُّور التي استعان بها الشُّعراء في شعر الغزوات، وهي صور عمادها التَّشبيهاً، والاستعارات، حيث لجأ إليها الشُّعراء في قصائدهم لما تمثَّله من قيمة فنِّيَّة عالية.

ويعدُّ التَّشبيه من أكثر الفنون البيانيَّة جرياناً في الشَّعر، فهو من أقدم صور البيان وأقربها إلى الفهم والأذهان، وبه يزداد المعنى وضوحاً ويكتسب

(١) جماليَّات القصيدة المعاصرة د. طه وادي ص ٢١٢.

(٢) الاتِّجاه الوجداني في الشَّعر العربي المعاصر د. عبد القادر القط ص ٣٩١.

تأكيداً (١).

ومن الصور التشبيهية ما يظهر في قول كعب بن مالك ؓ في موقعة بدر، حيث صور مسيرة جيش المسلمين لملاقاة المشركين، وكأنهم أسود تزار تنتظر فريستها، يقول:

فَارَوْا وَسِرْنَا فَالتَّقِينَا كَأَنَّنا أَسُودَ لِقَاءِ لا يُرَجَى كَلِيمُها (٢)

كما صور حسّان بن ثابت ؓ استعداد المسلمين للقتال، فقال:

فَتِيانُ صِدْقٍ كَاللُّيُوثِ مَاعِرٌ مَنْ يَلْتَمُهُمْ يَوْمَ الهِيَاجِ (٣) يُعَرِّدُ (٤)

حيث يصف فرسان المسلمين الذين يقفون في مقدّمة الصفوف للدّفاع عن عقيدتهم، والتّضحية من أجلها، ولذا أطلق عليهم فتیان صدق، وشبههم بالأسود الضّارية التي تدافع عن عرينها بكلّ حماسةٍ وعزيمة، وهم مع ذلك يسعون نار الحرب، التي لا يقوى الأعداء على خوضها، بل يفرّون منها لجبنهم وخورهم.

كما شبّه شعراء الغزوات أعداءهم من المشركين بالنّعام، الذي يضرب به

(١) انظر: العمدة في محاسن الشّعْر وآدابه ونفده لابن رشيق ٢٨٧/١، تحقيق: د. محمد قرقران.

(٢) ديوان كعب بن مالك ص ٢٦٦.

(٣) يوم الهياج: أي يوم الوقائع والمعارك الشديدة، يعرّد: يفرّ.

(٤) ديوان حسّان بن ثابت ص ٩٤.

المثل في الجبن، ومما جاء من أمثال العرب قولهم: (أندُ من نعامه) (١) أي أنفر. حيث شبّه كعب بن مالك ﷺ فرار المشركين يوم بدر بالنعام، فقال:

فَأَتَاكَ فَلُ الْمُشْرِكِينَ كَأَنَّهُمْ وَالْخَيْلُ تَثْنُنُهُمْ نَعَامٌ شُرْدٌ (٢)

أما حسّان ﷺ فقد رأى تصويراً آخر لفرار المشركين في غزوة بدر، وذلك حين شبّههم بالإبل التي يسير بعضها في إثر بعض، مبيّناً هروبهم من أرض المعركة، ورجوعهم على أعقابهم بعد أن حمى الوطيس، وأحاط بهم المسلمون من كلّ جانب، حيث يقول في رده على قصيدة ابن الزبير:

إِذْ تَوَلُّونَ عَلَيَّ أَعْقَابِكُمْ هَرَبًا فِي الشَّعْبِ أَشْبَاهَ الرَّسَلِ (٣)

أما فرسان المسلمين الذين يواجهون الأعداء بكلّ بسالة فقد شبّههم حسّان ﷺ بالصقور، في قوّة بأسهم، ونفاز بصرهم، وتمكّنهم من خصومهم، يقول:

لَهُ خَيْلٌ مُجَنَّبَةٌ تَعَادِي (٤) بِفُرْسَانٍ عَلَيْهِمَا كَالصَّقُورِ (٥)

ويشير حسّان بن ثابت ﷺ إلى مكانة خبيب بن عدي (١) ﷺ وجهاده من

(١) مجمع الأمثال للميداني ٤١٣/٣، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.

(٢) ديوان كعب بن مالك ص ١٩١.

(٣) ديوان حسّان بن ثابت ص ١٨١.

(٤) الخيلُ المجنّبةُ: المقودَةُ. وتعادى: تسرع.

(٥) ديوان حسّان بن ثابت ص ٢٤٥.

أجل نصرته للإسلام، فيقول:

صَفْرًا تَوَسَّطَ فِي الْأَنْصَارِ مَنَصِبُهُ حَلْوَ السَّجِيَّةِ مَحْضًا غَيْرَ مُؤْتَسِبِ (٢)

وفي معركة بدر لم يجد كعب بن مالك ﷺ بدأً من ذكر مسيرة ذلك الجيش المسلم، يقدمه الرسول الكريم ﷺ حيث يحتثم على الجهاد، ويقوي عزائمهم، وهم يصغون إليه، ويطيعونه في كل ما يقول، وقد لجأ كعب ﷺ إلى الصورة التشبيهية في هذا المقام، وذلك عندما شبه النبي ﷺ بالبدر، الذي يضيء للآخرين فينير لهم طريقهم، ويدلهم إلى طريق الرشد والفلاح، يقول:

نَمْضِي وَيَذْمُرُنَا (٣) فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ كَأَنَّهُ الْبَدْرُ لَمْ يُطْبَعْ عَلَى الْكُذْبِ (٤)

وفي صورة تشبيهية أخرى يشبّهه ﷺ بالشهاب، وهو يتوسط المسلمين، يقول كعب:

فِينَا الرَّسُولُ شِهَابٌ ثَمَّ يَتَّبَعُهُ نَوْرٌ مَضِيءٌ لَهُ فَضْلٌ عَلَى الشُّهُبِ (٥)

كما استعان الشعراء بالاستعارات الجميلة لإبراز معانيهم في حلة قشبية،

(١) هو حُبَيْب بن عديّ بن مالك بن عامر الأوسي الأنصاري، شهد بدرًا، وقُتِل الحارث بن عامر بن نوفل، واستشهد في عهد النبي ﷺ. (انظر: الإصابة لابن حجر ١٨٥/٣).

(٢) ديوان حسّان بن ثابت ص ٢٢٥.

(٣) يذمرنا: يحضنا ويدفعنا.

(٤) ديوان كعب بن مالك ص ١٧٥.

(٥) المصدر السابق ص ١٧٤.

وإيرادها في شكل تشتاق إليه النفس، وتأنس به. ومن تلك الصور ما عبّر عنه حسّان بن ثابت ؓ في يوم بدر، وذلك في وصف هزيمة حكيم بن حزام بن خويلد في ذلك اليوم، حيث قال:

نَجَى حَكِيمًا يَوْمَ بَدْرٍ رَكُضَهُ كَنَجَاءِ مُهْرٍ مِنْ بَنَاتِ الْأَنْجُوَجِ

لَمَّا رَأَى بَدْرًا تَسِيلُ جِأَهَا (١) بَكْتَانِبِ مِلْأَوْسٍ أَوْ مَلْخَزْرَجٍ (٢)

فقد جعل حسّان ؓ في البيت الثاني جِأَهُ بدرٍ تسيل رجالاً من كثرة كتائب الأوس والخزرج على سبيل الاستعارة، وذلك بما تحمله من عمق في تصوير تلك الكتائب، التي قدمت لنصرة الإسلام ودحر الشرك.

وفي تصوير المعارك تظهر جلياً براعة الشعراء في التقاط صورهم التي رسموا من خلالها مشاهد حيّة لما دار في أرض المعركة من مواقف وأحداث، ومن ذلك ما عبّر عنه كعب ابن مالك ؓ في موقعة بدر، عندما وصف قتلى المشركين الذين سقطوا في أرض المعركة، فقال:

(١) الجِأَهُ: جمع جلهة، وجلهتا الوادي: جانباه. ومِلْأَوْسٍ أو ملخزرج: أي من الأوس ومن الخزرج على سبيل التسهيل.
(٢) ديوان حسّان بن ثابت ص ٢٩٩.

وَعُتْبَةُ وَإِبْنُهُ خَرًّا جَمِيعًا وَشَيْبَةُ عَضُّهُ السَّيْفُ الصَّقِيلُ
 وَهَامَ بَنِي رَبِيعَةَ سَأَلُوها ففِي أَسْيَافِنَا مِنْها قُلُوبُ(١)

حيث أشار كعب رضي الله عنه إلى مقتل سادة قريش، ومنهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس، اللذان قتلوا في بدر، فقد لقينا جزاء عداوتهما ومحاربتهما للمسلمين، وفي التعبير عن مصرع شيبه تصوير بديع، وذلك حين قال: ((وشيبه عضه السيف الصقيل)) فقد شبه السيف بحية تعض، وتنهش، وتلحق الضرر بمن تريد، حيث أوحى هذا التعبير بالأثر الذي أحدثه السيف، وما كان له من وقع مؤلم في أجساد المشركين. وفي قوله: ((وهام بني ربيعة سألوها)) إحالة للسؤال من العاقل إلى ما لا يعقل، إذ الخطاب يكون في حقيقته إلى أولئك المشركين، وليس إلى هاماتهم التي تطايرت في يوم بدر، وهنا يكون التعبير أبلغ وأقوى تأثيراً من جهة الاستدلال على ما حلّ بالمشركين، وما أصابهم في تلك الموقعة الحاسمة.

ويصف العباس بن مرداس السلمي ما كان من مشاركة بني سليم في فتح مكة بألف فارس جاءوا لنصرة النبي صلى الله عليه وسلم وتحقيق الفتح المنتظر، يقول:

(١) ديوان كعب بن مالك ص ٢٥٣.

مِنَّا بِمَكَّةَ يَوْمَ فَتَحِ مُحَمَّدٍ أَلْفٌ تَسِيلُ بِهِ الْبِطَاحُ مُوَمَّ (١)

لقد كان العدد الذي شارك المسلمين من بني سُليم كثيراً في نظر الشَّاعر، فهم (معلَّمون) ومتدريِّبون على الحرب وخوض غمارها من جهة، وقد سالت بهم تلك الأرض السَّهلة المتَّسعة لكثرتهم ووفرة أعدادهم من جهة أُخرى، وهنا يبرز دور التَّصوير الذي لجأ إليه العباس بن مرداس في قوله: (ألف تسيل به البطاح) إذ لا تسيل الأرض ماءً، بل تسيل رجالاً من بني سُليم ملأوا بكتائبهم تلك البطاح، وهو ما يُبرز أهميَّة تلك الحشود التي توافرت لنصرة المسلمين في فتح مكَّة.

وفي موقعة مؤتة، وأمام جيوش الرُّوم الجرَّارة التي واجهت المسلمين في أرض المعركة، لم يجد عبد الله بن رواحة رضي الله عنه بدأً من مخاطبة نفسه، وحثَّها على الصَّبْر والعزيمة، والتَّضحية من أجل النَّصر أو الشَّهادة في سبيل الله، يقول:

يَا نَفْسُ إِلَّا تَفْتَكِي تُمُوتِي هَذَا حِيَاضُ الْمَوْتِ قَدْ صَلَّيْتُ

إِنْ تَسْلَمِي الْيَوْمَ فَلَنْ تَفُوتِي أَوْ تُبْتَكِي فَطَالَمَا عُوفِيْتُ (٢)

فقد جعل الشَّاعر من نفسه إنساناً مقابلاً له يجيد لغة الحوار والخطاب،

(١) السِّيرة النَّبَوِيَّة ٢/٤٢٦.

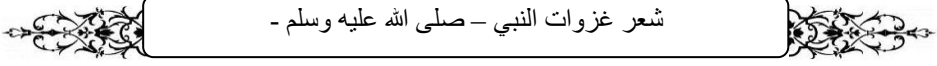
(٢) ديوان عبد الله بن رواحة ص ١٥٤.

والجدال والإقناع، وذلك ليبيِّت ما في وجدانه من مشاعر، ويعالج ما في داخله من إحجام، قاصداً في نهاية المطاف أن تتشجّع نفسه، وتُقدّم على ذلك الأمر الذي جاءت من أجله، وهو الجهاد والتّضحية في سبيل الله.

ويصوّر العباس بن مرداس رضي الله عنه بطولة قومه وشجاعتهم، وهم يتصدّون للمشركين في موقعة حنين، فيقول:

إِذْ نَرَكِبُ الْمَوْتَ مُخْضِرًا بَطَانُهُ وَالخَيْلُ يَنْجَابُ عَنْهَا سَاطِعُ كَدِرٍ (١)

فالشاعر هنا وفي سياق تجسيد شجاعة قومه وفروسيّتهم يلجأ إلى التّصوير، وذلك حين أحال الأمور المعنويّة إلى أمور حسّيّة، تشاهد، وتُركب، ويُتعامَل معها، وهو ما يظهر فيقوله: (إذ نركب الموت مخضراً بطانته) فقد أحال (الموت) وهو أمر معنوي إلى محسوس، وجسّده بشكل ملموس، ليُوحى من خلال ذلك بما امتاز به أولئك الفرسان من ثبات، وعزيمة، وإقدام في أرض المعركة.



شعر غزوات النبي - صلى الله عليه وسلم -



الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على أفصح العرب قاطبة سيّد الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فقد سارت هذه الدراسة في تتبّع شعراء غزوات النبي ﷺ، وما قيل في تلك المعارك الخالدة من أشعار، وما حفلت به من روح الحماسة والعزيمة، والحرص على الدفاع عن الإسلام، ومنافحة خصومه، والتصدّي لهم في كلّ الأشعار التي نظموها من أجل الإساءة إلى الدّعوة الإسلاميّة.

وقد اشتملت هذه الدراسة على فصلين أساسيين، أحدهما بعنوان: (الشّعْر في مواكبة الغزوات)، وفيه عرض البحث لغزوات النبي ﷺ، وما قيل فيها من أشعار، وما حفل به ذلك الشّعْر من ردود على شعراء المشركين، حيث كانت غزوة (بدر) هي أولى الغزوات التي نالت اهتمام الشعراء، ثم تلتها غزوة (أحد)، واتّسم فيها الشّعْر بالكثرة لما شهدته من أحداث جعلت شعراء المشركين يفخرون على المسلمين، ولذا فقد جاءت الردود من قبل شعراء المسلمين لتخرس ذلك الشّعْر، وتفصح عن عيوبه. وفي غزوة (الخنديق) وقف الشّعْر يشير إلى حماسة المسلمين وروحهم المعنويّة في مواجهة تلك الأحزاب التي قدمت لحرب المسلمين، ولكنهم باءوا في نهاية أمرهم بسوء العاقبة والخسران. وفي غزوة (مؤتة) وقف الشّعْر يستنهض الهمم، ويقوّي العزائم،

ويشير إلى ما ينشده المسلمون من النصر أو الشَّهادة في سبيل الله. وأخيراً جاء (فتح مكة) فكان بشارة عظيمة للمسلمين وطريقاً لنشر الإسلام في تلك الأنحاء، حيث مجَّد الشعراء ذلك الفتح وأبانوا عن عظمتها، وأهمَّيته للمسلمين.

أمَّا الفصل الثَّاني فكان بعنوان: (القيم الفنيَّة في شعر الغزوات) وفيه تناولت الدِّراسة ما اتَّسم به ذلك الشَّعر من قيم فنيَّة في جانب اللُّغة الشَّعريَّة، والصُّورة الفنيَّة، وبيان أثر القرآن الكريم في شعر الغزوات.

هذا وأسأل الله تعالى التَّوفيق والسَّداد، وأستمدُّ منه العون والتَّأييد.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه

وسلم.



فهرس المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر: د. عبد القادر القط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨١م.
- ٣- الأدب الإسلامي في عهد النبوة وخلافة الراشدين: د. نايف معروف، دار النفايس للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ.
- ٤- الأدب في عصر النبوة والراشدين: د. صلاح الدين الهادي، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة ١٤٠٩هـ.
- ٥- أساس البلاغة: لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار المعرفة، بيروت، تحقيق: عبد الرحيم محمود.
- ٦- الاستيعاب في أسماء الأصحاب: لابن عبد البر القرطبي، مطبعة السعادة، القاهرة ١٣٨٢هـ.
- ٧- أسد الغابة في معرفة الصحابة: لعز الدين ابن الأثير، دار الشعب، القاهرة، بدون تاريخ.
- ٨- الإسلام والشعر: د. فايز ترحيني، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٠م.
- ٩- الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر لابن حجر العسقلاني، دار نهضة

مصر للطبع والنشر، القاهرة ١٩٧٠م، تحقيق: علي محمد البجاوي.

١٠- الأغاني: لأبي الفرج الأصبهاني، دار الشعب، القاهرة، ١٣٨٩، تحقيق:

إبراهيم الأبياري.

١١- التأثير النفسي للإسلام في الشعر ودوره في عهد النبوة، د. عبد الرحيم

محمود زلط، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

١٢- تاريخ الأدب العربي: د. عمر فرُّوخ، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة

الخامسة ١٩٨٤م.

١٣- تاريخ الأدب العربي - العصر الإسلامي -: د. شوقي ضيف، دار

المعارف بمصر، الطبعة السابعة ١٩٨٤م.

١٤- تأملات في سيرة الرسول ﷺ: د. محمد السيّد الوكيل، دار المجتمع للنشر

والتوزيع، جدة، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

١٥- جماليّات القصيدة المعاصرة: د. طه وادي، دار المعارف، القاهرة، الطبعة

الثالثة ١٩٩٤م.

١٦- دراسات في أدب الدّعوة الإسلاميّة: د. محمود حسن زيني، مطبوعات

مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤٠٢هـ.

١٧- ديوان حسّان بن ثابت، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٣م، تحقيق: د. سيّد

حنفي حسنين.

- ١٨- ديوان عبد الله بن رواحة - دراسة في سيرته وشعره - د. وليد قصاب، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ.
- ١٩- ديوان كعب بن مالك الأنصاري - دراسة وتحقيق - د. سامي مكي العاني، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، الطبعة الأولى ١٩٦٦ م.
- ٢٠- ديوان النابغة الجعدي، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، دمشق، بدون تاريخ، تحقيق: عبد العزيز رباح.
- ٢١- سير أعلام النبلاء: لشمس الدين الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠١ هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون.
- ٢٢- السيرة النبوية: لابن هشام، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٧٥ هـ، تحقيق: مصطفى السقا وزميليه.
- ٢٣- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبد الحي الحنبلي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.
- ٢٤- الشعر الإسلامي في صدر الإسلام: د. عبد الله الحامد، الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ.
- ٢٥- شعر عبد الله بن الزبير: د. يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ.
- ٢٦- شعر العقيدة الإسلامية في عصر صدر الإسلام حتى سنة ٢٣ هجرية: د. أيهم القيسي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ.

٢٧- شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام: د. النعمان القاضي، الدار

القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٣٨٥هـ.

٢٨- شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه: د. يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة،

بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ.

٢٩- صحيح مسلم: للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج، مطبعة عيسى

البابى الحلبي وأولاده، القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٧٥هـ، تحقيق: محمد فؤاد

عبد الباقي.

٣٠- الصُّورة والبناء الشعري: د. محمد حسن عبد الله، دار المعارف، القاهرة

١٩٨١م.

٣١- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: لابن رشيق القيرواني

(ت ٤٥٦هـ) دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ، تحقيق: د. محمد

قرقران.

٣٢- في أدب الإسلام - عصر النبوة والرَّاشدين وبنِي أمية -: د. محمد عثمان

علي، دار الأوزاعي للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

٣٣- القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مؤسسة

الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.

٣٤- لسان العرب: لابن منظور المصري، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ.

٣٥- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: لضياء الدين ابن الأثير، دار

- نهضة مصر للطباعة والنشر ١٩٧٣م، تعليق: د. أحمد الحوفي وزميله.
- ٣٦- مجمع الأمثال: لأبي الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٧٨م، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.
- ٣٧- المسند: للإمام أحمد بن حنبل، دار المعارف، القاهرة ١٣٧٤هـ، شرح: أحمد محمود شاكر.
- ٣٨- المصباح المنير: لأحمد بن محمد بن علي الفيومي المقري، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٨٧م.
- ٣٩- معجم ألفاظ القرآن الكريم: عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مطابع الأوفست ١٤٠٩هـ.
- ٤٠- معجم البلدان: لياقوت الحموي، دار صادر، بيروت ١٣٧٤هـ.
- ٤١- المعجم الوسيط، عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٢م.
- ٤٢- النابغة الجعدي - حياته وشعره - : د. خليل إبراهيم أبو ذياب، دار القلم للطباعة والنشر، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
- ٤٣- النظرة النبوية في نقد الشعر: وليد قصاب، منشورات المكتبة الحديثة، العين ١٤٠٨هـ.
- ٤٤- الوساطة بين المتنبي وخصومه: للقاضي علي بن عبد العزيز

شعر غزوات النبي – صلى الله عليه وسلم -

الجرجاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل

إبراهيم وزميله.



محتويات البحث

الموضوع
المقدمة
الفصل الأول: الشّعري في مواكبة الغزوات
غزوة بدر
غزوة أحد
غزوة الخندق
غزوة مؤتة
فتح مكة

الفصل الثاني: القيم الفنيّة في شعر الغزوات

أولاً: أثر القرآن الكريم في أسلوب الشعر

ثانياً: اللغة الشعريّة

ثالثاً: الصُورة الفنيّة

الخاتمة

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات